كلمات
في أرض السلام

بقلم
مريم توفيق



بطاقة فهرسة

مكتبة جزيرة الورد
اسـم الكتاب : كلمات في أرض السلام
المـــــؤلف : مريم توفيق
رقـم الإيداع :
الترقيم الدولي:



الطبعة الأولى ٢٠١٧

الإهداء

إلى الحبر الأعظم

قداسة البابا فرنسيس

بابا الفاتيكان

مريم

يا رائع الوصف ..
نراك فى الميناء ، فى مطر الليالى
النسيم العبقى ، والعطر الندى
يامن تبهج القلوب العطشى للفرح ، التواقة للنور
فيغرد البلبل الشادى أعذب الألحان ، والنورس الفضى
كم شكونا إليك لهيب الشمس
فأهديتنا الأمان ، والدفء السخى.

مريم

يا إلهى ....

عندما تتوه خطواتى
أراك بقلبى .. تسبح بأعماقى
تحررنى من قيد وأغلال
فأفتش عن ثغرات ذاتى
يازورقا يسرى فى روحى وأعماقى
أرنو إليك فى صمتى وإطراقى
بسمة أنت فى الأحزان تؤنسنى
أهفو إليك فى فرحى وإخفاقى

مبارك شعبى مصر

أعشق القمر ، وليل السكون حين يغرينى بالقرطاس والقلم ، أعشق الشعر حين يبعث فى روحى الخيال والدفء ، أعشق لحن الحب فى الأفق ، يبدد الألم والخوف فتطيب به النفس ، أعشق الأحلام وفراشات الروض وعبق الزهر من السوسن والزنبق. وحتى القرنفل والفجر الضحوك والنجم اللجينى ، رونق الشفق .

أعشق كل مشهد يعيدنى لعالم مقدس وراء الأفق . كل ذلك يا وطنى أنشده فيك ، يا رمز العلا والسؤدد .

اليوم ماذا عساى أن أخط من كلمات فى جمال وروعة من استطاع أن يحفر فى أفئدة كل مصرى ومصرية ، مكانة عظيمة ستظل فينا للأبد ؟ !

ماذا أقول عن الضيف الكريم الذى أتى إلينا محملا بالحب الكبير ، فبارك أرضا كانت قد بوركت قبلا بوجود كل الأنبياء ؟

ماذا أسطر والربيع بقدوم قداسة بابا الفاتيكان صار أبهى وأروع؟ حللت أهلا ، ونزلت سهلا ، سيدنا الحبيب البابا فرنسيس.

أشرقت فينا بنور الرب ، والرب هو السلام والأمان هو الود والخير والجمال ، يا من صافحت بالعيون كلّ البشر ، فاكتسى الكون بالأخضر . يا من أضأت الشموع لرب المجد حتى يحفظ بلادنا من كل شر .

يومان وقداسة البابا فرنسيس ، يدق النواقيس إيذانا بمباركة أرض الكنانة ، مصر العظيمة منبع الحضارة المجيدة ، ليشيع جوا من الفرح والسعادة بين جموع المصريين ، إيذانا ببدء صفحة جديدة من عمر الإخاء بين الأزهر الشريف ، والكنيسة الكاثوليكية

تابعناك ياقداسة البابا لحظة بلحظة ، وكانت الزيارة تموج بالأمانى الطيبة وعطر الورود ، زيارة أبهرت الكون على امتداده ، حلم حققته السماء فصارت الحياة بطعم الشهد رقراقة .

كم نهلنا من روحك السمحاء مايروى الأفئدة ، كم جنينا من روض الصبا ، الزهر الندي بألوانه الأبيض والأحمر ، الوردى والسماوى .

هلّت بك الأشواق فى لحن عذب الصدى ، ننعم فى معيتك ببريق يجلى الظلام ، فراح الطير على الأفنان يسبّح ويرنم ، ومن فرط السعادة قبّلنا بعضنا بعضا أقباطا ومسلمين بقبلة مقدسة . أما التاريخ فقد سطر بالنور للأمة العريقة ، أنه فى يومى الثامن والعشرين ، والتاسع والعشرين من شهر إبريل عام ٢٠١٧.

أعاد الحبر الأعظم للبدر طلته بعد طول غياب ، بث سناه على الأرض تبسما ورضاء ، صافحنا قداسته بقلبه قبل أن يصافحنا بيده ، حينما رفع ذراعيه للسماء بصلاة تجلو الأعماق ، يطلب من إله السماوات والأرض أن تحل البركة والنعمة ، وأن يعم السلام والأمان على هذا الشعب الطيب ، إلى أبد الآبدين ، وأن يحفظ الرب مصرنا من كل مكروه ، وأن تظل فى العالم منارة لكل شيء طيب وجميل (مبارك شعبى مصر).

حينها لاحت الملائكة فى السماء ، تهفو لتطوق هذا القلب الحنون ، والشمس فى القلوب تغزل طوقا من ضياء ، فتجلى نور قداسته عشقا لإله الكل ، يمنح الدنيا عبيرا وسناء.

يومان يا رسول السلام ، ونحن نستبق الخطى نحو الموعد ، لنحتفي مع الملائكة خلف الغمام الرقيق ، نشتاق للتواجد فى معية قداستك ، كالأطفال ننتظر الحلوى لنفرح وباقة من أمنيات العيد تمرح ، لمسة وبركة تحمينا من هوج الرياح ، ننشد الأمان ولا شىء غير الوئام ، فنحن عطشى كما تهفو الفراشات لابتسامات الزهور .

يومان جعلا كل العيون تتطلع نحوك ، قديسا معاصرا يحيا بيننا ، الكل يصغى بشغف للكلمات العذبة التى قيلت من ذهبى الفم، لتمحو اليأس وغربة النفس. وكان الجميع يتابع خطواتكم ، ويُهرع حيث القلب النقى الذى أرسى نداء السلام ، فلا يُنسى أنكم الأوفى حينما عقدتم العزم أن تكون وجهتكم إلى مصر ، وطن الطهر التى سرت على أرضه أم النور ، مريم البتول

فكم تمنينا يا سيدنا أن تبقى بيننا آلاف الأعوام ، وعشرات القرون ! فإن لقدومك هلل القلب اشتياقا ، يا معبر الطير المهاجر ، ياأغلى الكنوز واللؤلؤ المكنون . فمضينا حيث تتواجد قداستك . بالحب والعطف غمرتنا فردا فردا ، فنزعت عنا الشوك . يامن داويت جرح أهل الشر ، فصرت فى الكون أجمل آيات الحب .

باركت شعبنا ، ودعوت الله أن يجعل «درة الشرق» آمنة ، وأن يحميها وأهلها الطيبين من عدو الخير الذى أبدع القنص ، ولم يحتج لسهم لإتقان الرماية ، فراح صدى الترديد يمتد للأفلاك .. آمين

بالورود والتراتيل والأناشيد ، هتفنا بصوت واحد :

(مصر) يا أعظم مدن الأرض ، يا أنضر فيض من نور الخالق ، تغمره بالعطر ورود

و إليك يا مصرُ عذب القصيد :

وطنى

وطني في عيني أزرعه
للفجر الآتي جنات
يحكى في العشق رواياتى
كسماء دوما تملؤنى
دفئا وتخط مداراتى
وطنى يصحبنى في الترحال
ولكل دروب بداياتى
في شعرى الهائم وغنائى
ونسيم العطر بخلجاتى
مازال يقيم بأنفاسي
عطرا ويضئُ براياتى
يسرى بالقلب بأوردتى
ويزيل ويغسل آهاتى
يدعونى للقيم المثلى
نجمات هِمنَ بنجمات
في لحنى عاش كأغنية
ماجت في بحر كتاباتي

ترجمت غرامك أشعارا
نهرا يتدفق في ذاتى
وطنى يتدرج فى عينى
وينمو عبر مساحاتى
فى القلب أميرة مدن الأرض
عروس النيل ومرآتى
يملؤها من عبق التاريخ
شموخ المجد بآياتى
وأضاءت بسماء بلادى
نجما وضاء القسمات
ومن اسم النصر حباها الله
النصر بكل الجبهات
تهدى للأمة أعلاما
فيحيط الزهو بشرفاتى
وتعلّم كل بنيها عشق الوطن
ومجد حضاراتى

فهـا هـو رسـول الحـب ، يأتينـا محمـلا بأغصـان الزيتـون ، وكلمـات طيبـات تثلج أسـارير كـل محبـى السـلام فـى العـالم ، أمـا أسراب الحمام فقد رسمت قلبا نقيا فى سماء بلادى ، رآه القاصى والدانى ، يالروعة المشهد ، والأفئدة تخفق باللحن الشجى ...

(كيرياليسون ، والله أكبر)

فى لقياك يا سيدنا هلت أنوار الأمان وكـان عذب البيـان حـين ينطـق الحبـر الأعظـم بلسـان الله بالمحبـة، فنـذوب بعـالم تسـوده ، إشراقة الفكر الموشى بالذهب ، ننعم بشذى الحـروف مـن ثغرك الباسـم ، ياكـل الفـرح العـذب ، الآن وبعـدما راقـت لنـا الـدنيا ، نعمّرها بالأمانى الحبيبات ، فلن ننسى ماحيينا هذا الاحتواء، هذا الحب الذى روانا من عطش للسلام .

الحبر الأعظم من يكون ؟

والقلم حين يميل على الأوراق ، أراه يتوارى ويخجل ، فأى قلم هذا الذى يسطر فى الحبر الأعظم شعرا أو نثرا فيوفيه حقه ؟

لكننى سوف أحاول أن أجتهد ، لعل القارىء فى كل مكان ، يعرف أن هناك مصرية ، من بلد الكنائس والألف مئذنة ، تعشق وطنها ، ولا تطيق عنه ابتعادا أحببت إيطاليا الجميلة الساحرة : روما ، فينيسيا ، فلورنسا ، فيرونا ، ومدينة «كاشيا» موطن القديسة « ريتا » شفيعة الأمور المستحيلة ، والتى نالت إبنتى الكبرى شرف اسمها ، كما نلت شرف زيارتها لنوال البركة مرتين .

أما الفاتيكان فتخشع القلوب بحبها ، فتمحو من النفوس الظلام والاغتراب ، ومع كل زيارة أقف حائرة مابين روح القداسة التى تعطر الأجواء.

وفنون العمارة فى كاتدرائية القديس بطرس التى تحتل مكانة خاصة في قلوب مسيحي العالم ، هنا فى الفاتيكان مقبرة القديس بطرس الرسول ، أحد التلاميذ الإثنى عشر للسيد المسيح .

هاهى روح القداسة ، تتجلى أيضا فى المزار السياحى الكبير ، ساحة الفاتيكان ، والتى يتجمع فيها الزائرون وتتسع لأكثر من مئتي ألف زائر ، فأنا أحرص دائما أن أكون بمواجهة الشرفة البابوية ، التى يطل منها الحبر الأعظم ، وكلى شغف للنور ، حين ينبثق فيلقى بأطيافه على كل الكون . فنعب من يديه البركات ، بحب يفيض على حنايا الصدور ، نعب لأقراننا أيضا حتى إذا ماعدنا لأوطاننا ، وزعنا منه على الأهل والأصحاب ونقول : هاهى نفحة الحب تلوح فى الأفق بالعطر تجوب الفضاء .

ومن جديد نتوق لطلة البهاء، للبسمة المعهودة ، عندما يلقى قداسته التحية على كل الجموع من كل الديانات ، فيالروعة الساحة وقد اكتظت بالشباب والكهول ، بالرضع والصغار ، بالبيض والسود المسيحيين والمسلمين ، وبكل البشر الذين جاءوا من فجاج الأرض ، من أجل رسول السلام ، إيمانا منهم بصدق محبته ، فكل مايبغونه هو نوال البركة ، والدعاء لإله الكون أن يحفظ الإنسان كل إنسان ، وأن يعم البشرية جمعاء الفرح والسلام . أما أسراب الحمام فتلهو من حولنا ، نداعبها فتفرح بنا بالجمالها وقد راحت تشاركنا الصور ، نمر بين البازارات المزدانة بالهدايا التذكارية ، فنبتاع الأيقونات المبهرة لأروع أيقونة فى العصر الحديث والتى توجت فى الأفئدة بالذهب والماس ، أيقونة البابا فرنسيس .

وأعود إلى ذاك التاريخ المعطر بأريج الورود ، التاسع عشر من مارس عام ٢٠١٣ هذا التاريخ المجيد الذى يوافق أيضا ، عيد القديس «يوسف» والملقب «بحامى العائلة » فى هذا اليوم المبارك، تم تتويج قداسة البابا فرنسيس ، بابا للفاتيكان ، إنه لعيد وفرح عظيم ، لا يضاهيه فرح ، كالفجر المؤتلق . يالجلال لحظة التتويج التى تعبق بالطهر النقى ، كأن فراشة تحنو على وردة ، أو زهرة تصبو إلى مرتّل ، كأننا نهيم من واد إلى واد بين أشجار النخيل وأنهار الرحيق ، كل ماحولنا يشف عن الحب نهلل بالتراتيل ، كأننا نطوف من كوكب الى فرقد .

ومن المعلوم أن الحبر الجليل من أصل أرجنتينى واسمه الحقيقى (خورخى ماريو بيرجوليو) لكنه اختار ان يحمل اسم القديس « فرنسيس الأسيزى » الاسم الجهير فى عالم التواضع والعطاء بلا حدود ، خادم الفقراء والمرضى ، والذى لم يأل جهدا فى خدمة الكنيسة الكاثوليكية ، وذلك عندما اتخذ قراره بالإبتعاد كليا ، عن حياة الترف والبذخ ، الحياة الزائفة والزائلة

وفضّل أن يعيش حياة الزهد والنسك الجميل ، فوهب حياته من أجل إسعاد الآخرين. يقول السيد المسيح له المجد : «لا تكتنزوا لكم كنوزا على الأرض ، حيث يفسد السوس والصدأ ، وحيث ينقب السارقون ويسرقون ، بل اكنزوا لكم كنوزا فى السماء ، حيث لايفسد سوس ولا صدأ ، وحيث لاينقب سارقون ولا يسرقون » فوضع الحبر الأعظم هذه التعاليم فى أولوياته ، وهى الدعوة لخدمة الفقراء والمحتاجين ، الذين أطلق عليهم اسم الأخوة ، وذلك دون النظر لاختلاف الأديان ، والتعامل بالرفق مع الحيوان ومع النبات ، حب العطاء ونشر الخير ، ومساندة الضعفاء والمحتاجين إنها دعوة ربانية للمحبة والسلام ، تلك الدعوة التى تقبلها قداسته طائعا ، فمن المؤكد أنه اختيار السماء فالدعوة الى المحبة ، تقوم عليها أسس العقيدة المسيحية .

الرحمة شعار القديسين

هكـذا قـرر البابـا فرنسـيس ، أن يسـير علـي خطـى القـديس «فرنسـيس الأسـيزى» ، وكانـت البدايـة حينمـا اختـار الرحمـة شـعارا باباويـا . نعـم ياسـيدنا إنهـا شـعار يعلـو فـوق الأشجان ، الرحمة والعطف ، كلها جواهر للفؤاد المستهام

قلت لنا ياسيدنا : لا تكفوا عن طلب المغفرة ، فالله لايمل من أن يغفر لنـا خطايانـا ، الله الطيـب الحنـون بالتأكيد ، يعـرف كـم هـو ضـعف الإنسـان لكـن رحمـة الـرب وغفرانـه للخطايـا يقوّمـان الخاطيء فى سبيله لكى يطوى صفحة الماضى بعثراتـه ، ويبـدأ صفحة جديدة نقية دون خطيئة .

أما الأخلاق فلا تسقط أبدا ، الله القدوس يفتح للعبد دوما مخرجا ، لكى يعيد حساباته بوقفـة مع الـنفس ، علـى أمل العـودة الـى جـادة الصواب

ولإدراك قداسته بأهمية أن يسود العدل والحق فى كل العالم ، طالب الحبر الأعظم ومـازال يطالب بضـرورة الإهتمـام بـالفقراء والمعوزين فيؤمن أن المال هو أصل كل الشرور ، وهكـذا كـان الحبر الأعظم داعما للحركات الإنسانية ، من أجل تحقيـق العدالـة الإجتماعية .

فقد دعـا قداسته كل المسئولين الـذين لهم تـأثير مباشـر فـى الحيـاة الإقتصـادية والسياسـية والإجتماعيـة ، أن يكونـوا حمـاة المبـادىء والقـيم والأخـلاق ، وأن يكونـوا دومـا فـى الصـدارة ، ليصبحوا القدوة عندما يمدون يد العون للمسنين ، والمرضـى ، والأطفال ، والأيتام والمعاقين وكل البشر المحتاجين .

ودعاهم أيضا ان يضعوا الحلول العملية ، لكل مشاكل البيئة التى فاق التلوث فيها الحد

كما يرى قداسته أن أصل الشرور الطمع والجشع ، فهما السبب الرئيسى للحروب التى يعانى منها العالم الآن ، الحروب والفتن التى باتت تهدد سلام المجتمعات الآمنة ، فأصبحنا لا نشاهد إلا القتلى والمشردين ومشاهد الدمار والتخريب ، وهنا يولد السؤال إلى متى يدفع الأبرياء ثمن العنف والحقد والكراهية.

ومن أولوياته أيضا ، مد يد العون لخدمة الآخرين دون تمييز ولم لا والتواضع الجم من أهم الفضائل التى تميز قداسة البابا فرنسيس ؟

والذى يحمل بين جوانحه قلبا قادرا على الاحتواء ، وحنوا قادرا أن يمنح البشرية الطمأنينة ، ومن الطمأنينة ينبثق سلام النفس.

جعل رسالته أيضا ، تتضمن العمل على التقريب بين جميع الأديان ، والتعايش السلمى بين كل الناس ، وتشجيع الحوار بين مختلف الثقافات ، والتمسك بالوحدة بين جميع الكنائس المسيحية الأخرى ، فتم وصف قداسته ، بأنه البابا الذى يمتلك المقدرة على لم الشمل . ولم لا ؟ أليس الحبر الأعظم هو من قام بغسل أقدام البسطاء من المسلمين فى خميس العهد تشبها بالسيد المسيح عندما غسل أرجل تلاميذه ؟ أليس هو من غسل أيضا أقدام بعض السجناء والمعتقلين ؟ وقال :« إن المسيح أتى اليكم ليخدمكم ، فكروا فى ذلك مليا، فهل نحن حقا مستعدون لنخدم الآخرين » ؟ إن الأمر لا يتعلق بغسل أقدام الآخرين فقط ، بل يتعلق بكيفية مساعدة بعضنا لبعض ، فإذا غضبت من أى إنسان ، فلنتجاوز الأمر ، فلنترفع عن الصغائر لتعلو فوق الأحزان والآلام .

زار قداسته عشرات المرضى من الأطفال فى المستشفيات ، وكان يطلب أن يتجول منفردا فى مختلف الأقسام فليس بحاجة إلى كاميرات ، ليس بحاجةإلى حوارات تسلط عليه الأضواء ، يريد أن يحنو على الضعفاء ، يشد من أزرهم ، يطمئن قلوبهم أن الله لن يتركهم أبدا ويرى الحبر الأعظم أن هذه الدقائق الضائعة أولى بها طفل ، لا يجيد التعبير عن أوجاعه ، أو مسن لا يستطيع أن يتحرك بمفرده .

يفضل الحبر الجليل التواصل المباشر مع المرضى ، يربت على أكتافهم ، يدعمهم نفسيا لكى يتجاوزوا محنة المرض والآلام . كما قام أيضا بزيارة مفاجئة الى المناطق التى أضيرت من جراء الزلزال العنيف، الذى ضرب وسط إيطاليا فى شهر أغسطس عام ٢٠١٦ هذا الزلزال الذى هز العاصمة ، وراح ضحيته المئات من الإيطاليين ، والذى خلّف أيضا آلاف المشردين ، فطلب قداسته حينذاك أن يذهب بمفرده إلى مناطق الزلزال ، ليظل قريبا من المتألمين ، يخفف عنهم مشاعر الصدمة والهلع ، فليس سهلا على الإنسان أن تدمر حياته ، بين عشية وضحاها ، ففقدان الأحباء وضياع الممتلكات ليست بالأمر الهين ، وأن يصبح المرء فى العراء بين الأنقاض ، بعدما كان ينعم بسقف وجدران تحميه من غدر الطبيعة ، إنها لكارثة كبيرة أن يحيا على الأطلال فى العراء ، تطوقه الذكريات الحزينة

هذا هو قلب الملاك الحنون البابا فرنسيس ، الذى يحل ضيفا عزيزا على أرض مصر ، فكلنا نعلم أنه رفض المبيت فى أحد القصور الرئاسية ، أو أحد الفنادق الفخمة التى تليق بمكانة قداسته ، وفضّل أن يبيت بمقر سفارة الفاتيكان بالقاهرة ، فضّل أن يقيم بهدوء فى مكان عادى ، بعيدا على الإقامة المعدة سلفا ، مازال يطبق كل الطقوس الذى فرضها على ذاته فى الحل والترحال .

والأكثر من هذا رفض قداسته أن يتجول بسيارة مصفحة ، وأصر على استخدام سيارة عادية قائلا : أنه لا يشعر بالقلق أبدا، لأن الحماية الحقيقية بيد الرب وحده ، ولأن قداسته يثق تماما فى الخطة التأمينية التى وضعتها وزارة الداخلية المصرية

وأمام هذه الصفات النبيلة التى حباه بها الله ، لا نملك إلا الدعاء لرب المجد ، أن يحفظ للبشرية جمعاء الحبر الأعظم ، والذى يتمتع بأروع الصفات ، ألا وهى التواضع الجميل ، والابتعاد عن المظاهر التى يفرضها عليه الكرسى الرسولى فقد أعطانا مثلا حيا فى التعامل ببساطة شديدة ، عندما احتفظ بالصليب الحديدى الذى كان يرتديه كرئيس أساقفة ولم يرتد الصليب الذهبى

وجميعنا يعلم أن قداسته لا يبيت فى المقر الرسمى فى القصر الرسولى بالفاتيكان ، ويفضل أن يبيت فى بيت بسيط ألا وهو بيت القديسة «مرثا» إنها قمة التواضع للبابا فرنسيس ، والذى صار امتدادا لسلفه القديس العظيم(فرنسيس الأسيزى) .

أما علاقاته بالعالم الإسلامى ، فعلاقة طيبة تتسم بالدفء والمودة والعالم يشهد أن قداسته ، عارض كثيرا وبشدة تلك الضربات الغربية الموجعة على سوريا عام ٢٠١٣ ، هذا الموقف الإنسانى الذى أشاد به مفتى سوريا «أحمد بدر الدين حسون»، الذى دعا جميع المساجد فى أنحاء البلاد للإنضمام للبابا فى صلاة من أجل السلام ، بتاريخ ٧ سبتمر عام ٢٠١٣ ، فى الوقت الذى كان فيه البابا فرنسيس ، يقيم قداسا فى ساحة القديس بطرس بالفاتيكان

نعم إن الحبر الأعظم القلب الحنون ، بين حناياه قلب الملائكة والرسل الأطهار ، لن يرضيه صراخ الأطفال ، وأنين الأمهات ، لن يقبل بسيل الدماء ، لن يوافق على تدمير الدول ، من أجل فرض ديمقراطية الغرب بالقوة ويرى قداسته أن الحلول دائما فى الصلوات التى نتضرع بها إلى الله ، لينقذ العالم من العنف والبغضاء

يجب أن تكون الحلول سلمية وبالمفاوضات ، وبالتالى فالنتائج بالطبع ستكون إيجابية ، وبدون خسائر بشرية

يقول رب المجد : « أنتم نور العالم ».

على خطى القديس فرنسيس

ولا يفوتنا فى هذا المقام أن نذكّر القارىء ، أنه بتاريخ الرابع والعشرين من يونيو عام ١٢١٩ قام القديس «فرنسيس الأسيزى» بزيارة الى مصر، حيث التقى «السلطان الكامل بن الملك السلطان العادل الأيوبى».

وكان الصدام محتدما ، والحروب على أشدها بين الشرق والغرب ، هذه الحروب التي عانى منها العرب كثيرا ، فأطلقوا عليها حروب الفرنجة ، وأطلق عليها الغرب الحروب الصليبية

ومنذ هذا اللقاء ، بدأ الحوار الاسلامي المسيحى عبر التاريخ ، حوار يجرى على أسس راسخة من التفاهم والإحترام المتبادل

أما «السلطان العادل» فقد ثمّن هذه الخطوة ،

وقابل مجيء «الأسيزى» من أجل السلام ، بتقدير كبير فصرح له بالبقاء فى مصر ، وفى الأراضى المقدسة فى فلسطين

هكذا يمضى الحبر الأعظم البابا فرنسيس بعد ثمانمائة عام ، إلى أرض المحروسة ، ليخاطب العالم كله ، بقلب ولسان السلام مقتديا بسلفه القديس العظيم «فرنسيس الأسيزى»

البابا فرنسيس لديه دائما رؤية مستقبلية ، يرفض نظرية الصدام والمؤامرة ، بمعني أنه يرفض سوء النوايا ، ويضع دائما البدائل الحسنة ، والمتمثلة فى التعاون والتقوى ، والعيش فى أمن وسلام .

فالحبر الأعظم يصر على أن التعايش بين المسلمين والمسيحيين ، سيظل ممكنا

داعيا الغرب إلى استلهام العبر مما حلّ بالدول الإسلامية ، كالعراق وسوريا ، عندما صدّر لهما الغرب ديمقراطية لا تتناسب مع المجتمعات العربية . وعلى العالم أن يعى الدروس المستفادة مما حل بهذه الدول من دمار وخراب ، نتيجة التدخل بمقدرات الشعوب.

أين العالم الآن من حضارة «بابل» فى بلاد الرافدين ؟ وأين العالم من حضارة «تدمر» فى بلاد الشام ؟ ماذا يربح العالم حين تطمس هوية دول لها تاريخ عريق ، وحضارات عمرها آلاف الأعوام ، حضارات هى ملك للأجيال القادمة ، وملك للإنسانية جمعاء ؟

يقول السيد المسيح له المجد : « ماذا ينتفع الإنسان إذا ربح العالم كله وخسر نفسه ؟ »

لماذا يصنع السلاح لإزهاق أرواح خلقها الله كل ذنبها أنها ابتليت بإرهاب أسود ، يعيث فى الأرض فسادا ؟ إرهاب يدمر كل نبت ربانى ، تعلوه مشاعل البهجة ؟ إرهاب يدمر شعوبا كل ماتبغيه هو العيش بأمان ، وألا يحرم أبناؤها من نعمة الحياة

لماذا تهدر المليارات لتدمير البشر والحجر ؟ لماذا لا تستخدم هذه المليارات في الخير لإعمار الأرض وخدمة الإنسان وإنقاذه من الأوبئة والأمراض وانتشاله من الفقر والمرض والجهل ؟

يقول إنجيل متى : أما أنا فأقول لكم : « لا تقاموا الشر ، بل من لطمك على خدك الأيمن ، فحوّل له الآخر أيضا ، ومن أراد أن يخاصمك ، ويأخذ ثوبك ، فاترك له الرداء أيضا »

وهاهو الحبر الجليل يطبق تعاليم الكتاب المقدس ، بدعوة العالم أن يجنح للسلام ، ولا شىء غيره .

السلام عليكم

كنا على شاطىء الإنتظار ، بعضنا يئن فلا ظل وارف ، ولا مرفأ انتظار آمن ، والبعض ضل الخطى، فتساوى لديه النور والنار ، والبعض الآخر فى لجة الأسي تتجاذبه الريح فى كل واد . وكنا فى انتظار من يطوى صفحة الماضى الحزين ، بعدما تفرقنا كل فى طريق ، أنت قبطى سألتك ؟ أنت مسلم فلم تجبنى ؟

حتى جاء من أبدع فى اختيار اللبنة الأولى ، لتبقى نبراسا جديدا للعالم كله

هو من أرسى من جديد قواعد السلام بكل اللغات ، وبات صمام الأمان والاستقرار ، لكل الشعوب التى تتوق لبناء مستقبلها ، بسواعد أبنائها دون تمييز

هو رمز المحبة والمسرة والأمل فى الغد النير ، السلام دائما مفتتح لكل شىء رائع وجميل السلام يذيب الجليد ، بالسلام نسطر الشعر الرقيق المفعم بالحب المقدس

حلو الكلام (السلام عليكم) ، حين بدأ بها قداسته ، بالتأكيد كان يدرى أن وقع السلام على النفوس له مفعول السحر ، بالسلام يتجلى بهاء الكون بالسلام نعيش سويا ، نزرع الأرض بسنبلات الخصوبة ، فنجتاز كل سحابة كئيبة تلبد بالغيوم سماءنا وأرواحنا . فتعود الآمال مشرقة للعيش الهانىء ، فهل هناك أجمل من تلك البداية الدافئة ؟ هل هناك أجمل من نعمة نشر السلام فى كل بقاع الأرض ؟ !

لقد كان وقع حروفها على الأسماع ، بشرى تطيب بها الأيام والليالى ، هكذا بدأ بابا الفاتيكان أولى كلماته لشعبنا العظيم الذى جلس على مقربة من راعى السلام ، فى شغف لصوته الملائكى

البابا الذى استطاع أن يحفر مكانته المقدرة في قلوب العالم كله ، فقد حباه الله من النعم الإلهية الكثير ، وأولها نعمة التواصل والقبول ، التواضع الشديد فهو القادر على بناء جسور المودة الحقيقية ، دون تمييز بين البشر ، على أساس اللون ، أو العرق ، أو الدين.

كم كنا نتوق لبسمته المورقة ، لروضة ضاحكة الزهور ، للمطر فى وحشة الصحراء ، نرتجى رطب النخيل

فكم عانينا وحشة القفر المديد ، لقد آن الأوان لنرد التحية لبابا السلام فنقول لقداسته :

وعليكم السلام ورحمة الله وبركاته ياقداسة البابا ، سلام السيد المسيح «له المجد» يكون معك ياسيدنا وحبيبنا . فالمودة والإخاء والوئام والمحبة كلها مرادفات السلام . قالها قداسته باللغة العربية ، فاستقرت فى العقول ، ومن ثم أراحت القلوب التى اهتزت بالفرح طربا ، فأزال صفحة رمادية من عمر الحب بين المسلمين والمسيحيين . «السلام عليكم » أرسلها للناطقين بالضاد فى كل الأرجاء ، فما كان من العصافير إلا التغريد على الأفنان مع انبثاق البدور . غمر القلوب بنفحات العبير ، فصارت الجداول أكثر بهاء ، والأيام تنضح بالسرور ، وجلسنا نستمع لصانع السلام ، فى الضحى وفى البكور أورقت على الأشجار الغصون ، وبدا العشب طيبا ، والقصيد أكثر روعة والفنون ، السلام عليكم يا أهل مصر ، ومصر فى الجوانح كالنسائم ، على أرضها معنى وروح ، هنا العراقة ، هنا سر الخلود .

مصر أم الدنيا

جميعنا نرددها عن ظهر قلب ، فطر عليها العرب جميعا ، لكن عندما فاجأنا قداسته ، وهو القامة السامقة والقيمة المقدرة ، قائلا باللغة العربية : (مصر أم الدنيا)

هلل المصريون مجددا لعذب الكلمات المنتقاه التى سرت فى الحنايا شجية القوافى ، كرفيف الأمنيات ، فقداسته يدرى مسبقا، أن الشعب المصرى شعب طيب الأعراق ، ودود ، كريم ، مضياف . وفى الشدائد يبلى بلاء حسنا ، أهل للثقة ، فطر على القيم والمبادىء ، التى استقاها من معين الأديان السماوية الثلاثة التى عاشت على أرضه .

ذلك هو المصرى الذى ارتوى من النيل العظيم ، وعاش على ضفاف الوادى ، تعلم كيف

يزرع ، ليحصد سنابل الخير ، أما اللون الأخضر ، فينمو بداخله حبا ووفاء

المصرى يرفض العنف والبغضاء ، فقد عاش على دق أجراس الكنائس ، إلى جوار تكبير الآذان ، المصرى دائما مايجنح للتسامح . كل ذلك يعرفه قداسة البابا عن مصر، وأصالة شعبها ، فبات الجرس شجيا ، حينما أتت الكلمات الطيبات بثمارها ، فما أروعها !

نعم ياسيدنا .. مصرنا فخر ومجد ، هى أمنا من سالف الدهر الروح ترف لها وإن نأى عنها البدن ، هى الأيدى الحانية من عصف الزمن ، أرضنا التى نترك عند رباها مملكة اشتياقنا . مصرنا التى لا يمكن أبدا أن توصد أى باب ، فى وجه من يبتغى أمنا وأمانا ، هى واحة دفء ومحطة استقرار ، لمن التجأ إليها ، ريثما يعود إلى موطنه وأهله.

في كل الأحوال ضيوفنا ياسيدنا ، على الرحب والسعة ، معا نقتسم الخبز ، سوف نمر بكئوس الماء على كل الأحباء ، فنرتوى جميعا من نبع المحبة . بالخبز والملح لا نخون بعضنا البعض ، هذا هو عُرف أمتنا العربية ياسيدنا ، فى أوان الحصاد لا نحصد إلا الغرس الطيب ، خيرا ومحبة .

الحب هدية السماء ، الله محبة ، أكثر من ألفى عام مضت على قدوم السيد المسيح (له المجد) وأمه العذراء البتول مريم ويوسف النجار ، جاءوا يحتمون بمصر من بطش الملك «هيرودس» الذى أعطى أوامره بقتل جميع أطفال بيت لحم فخافت القديسة الطاهرة مريم على ولدها ، وبناء على رؤية مقدسة وأمر إلهى ، جاءت إلى مصر السلام عبر سيناء الحبيبة

على هذه الأرض المباركة ، كان الملاذ الآمن للعائلة المقدسة ، أما الآثار التى بناها القدماء المصريون وصارت حديث العالم عبر حضارة السبعة آلاف عام ، فقلما يجود بمثلها الزمان .

والحضارات العظيمة الفرعونية ، والقبطية ، والإسلامية ، جميعها لها عظيم الفضل على حضارات الغرب ، والتى استقى الغرب من معينها ، كل علم وكل فن ، فى الكتابة والعمارة ، والرسم والنحت ، الرياضة والاختزال ، ومازال العلماء عاجزين عن فك سر التحنيط حتى الآن !

مصر المذكورة فى الكتب المقدسة ، سيحفظها الرب من كل مكروه ، سيناء الحبيبة التى كلم الله على أرضها « موسى النبى » وهو يستقبل الوصايا العشر ، وكانت أولى الوصايا «لا تقتل» ، من المؤكد أن يد الله لن تدعها فى كف الأشرار ، فعلى أرضها الآمنة عاش العديد من البطاركة عبر القرون ، فى خير وسلام.

قال قداسته :

أنـه بهـذا العـام يكـون قـد مـر سـبعون عامـا علـى العلاقـات الدبلوماسية ، بين الكرسى الرسولى ، وجمهوريـة مصـر العربيـة والتى كانت من أوائل الدول العربية ، التـى أقامت هذه العلاقـات على أسس متينة من الصداقة والإحترام المتبادل .

ونحـن بـدورنا ياسـيدنا نـثمن تلـك العلاقـات البنـاءة ونقـدرها ، ونسـعى لتطويرهـا ، خاصـة أن الكرسـى الرسـولى يشـرف بالبابـا فرنسيس بابـا المحبـة والسـلام ، الشخصية المتفـردة ، القـادرة علـى جمع شمل الفرقاء ، فى شتى بقاع الأرض بالحنو الشفيف والصدق ، بالتعاون واحترام حقوق الإنسـان ، برسـائل السـلام فـى ظـل عـالم يعـانى مـن التطـرف الـذى تحـول إلـى إرهـاب دينـى مسـلح ، بكـل وسائل التدمير .

فقداسته يرى أن الأديان السماوية ، جاءت برسـائل محبـة واحدة ، وهى القوة التى تحمى المجتمعات بالقيم والخلق الرفيع ، ولن يُهزم التشدد إلا بالفكر المستنير ، مع حماية الثوابت الوطنية والقومية لكل الدول ، فالدين لله والوطن للجميع .

كما قال قداسته أيضا ، أنه جاء الى مصر مقتفيا خطى العائلة المقدسة ، والعديد من الأنبياء ، معتبرا زيارته لـلأرض المباركـة بمثابة حج مقدس .

تحيا مصر

ونحن كمصريين وعرب ، نسأل الله فى كل حين أن تحيا مصر ، بأبنائها الطيبين ، وبجيشها الوطنى وبنبراسه الوفاء والإخلاص فعقيدته القتالية .. الدفاع عن الوطن ، والتضحية بالغالى والنفيس فداء لترابه الغالى

جيشها الذى نزهو بانتصاراته وبطولاته ، على مر العصور ، وكذلك شرطتها الباسلة التى نثمن لجنودها وطنيتهم ، ونقدر لهم أرواحهم التى يبذلونها عن طيب خاطر كل يوم ، وهم يدافعون عن الأرض والعرض ، لكى ننعم نحن بالأمن والأمان .

تحيا مصر بعلمائها ومفكريها ، شعرائها ومثقفيها ، رجالها ونسائها ، بالشباب الطموح الذى يسعى لنهضة الأمة ، فتحيا مصر اليوم والغد وإلى أبد الدهر .

تحيا مصر ، كلمتان عذبتان على قلب كل وطنى يذوب عشقا فى هذا الوطن الأبى، وكل من لديه استعداد للذود عنه ، ضد الطامع والغاصب ، ضد العملاء والمأجورين ، الذى يسعون بكل الطرق لهدم مصر .

لكن هيهات أيها التعساء الكارهون لنعمة الأوطان ، سوف لا نبرح أرضها لأنكم لن تستبيحوا مصرنا ، ولن تهزوا سكينتنا ، فمصرنا فى الدماء وتسبح .

إسمها مصر من ثلاثة حروف ، لكنها كل الحروف ، هى الصخر المنيع ، هى الأمجاد المذكورة فى كتب السماء ، هى الحاضر والغد المنير .

والآن تفخر بقدوم الحبر الأعظم البابا فرنسيس ، وها هو يدعو لها ، يصلى من أجل أمنها وسلامها .

هذا الخطاب الرائع الذى نال حب الجميع فى كل البقاع ، خطاب كتب بروح الله ،

فها هو يبدأه بالسلام عليكم ، ثم يجعل مسك الختام (تحيا مصر).

فلتحيا مصرنا الغالية ، وليبقى العلم خفاقا فى سمائك يا نيل ، فهنا الجمال وهنا الطيور تنتشى فى كل الربوع ، ترتمى على الأغصان ، حين تلملم الشمس ضوءها الحانى الوليد وهنا الطيب .. الإمام الأكبر شيخ الجامع الأزهر ، وهنا البابا تواضروس بابا الكنيسة المرقسية وبطريرك الكرازة المرقسية . فهنا بدائع الإله عندما تضم النوارس صغارها، وحين يعانقنا الدهر ومن حولنا بساتين الفل والياسمين .

ها هو بابا السلام من مصر السلام ، يهدينا الخبز الطيب والماء الزلال ، يخاطب مهد الحضارات ، يخاطب المصريين وكل الطيبين فى كل الأنحاء يدعو لأبنائها بالرخاء والإستقرار ، يدعو بالأمان ، يوصينا ألا نبرح الضفاف ، حتى نزرع السنابل وزهر الربيع، فمصر فى الأفئدة أمانة وعلينا أن لا نستكين ، وبكل اللغات ننشدها بصوت واحد ، فيرن صداها فى الأفلاك :

بلادى بلادى بلادى ، لك حبى وفؤادى ، بلادي أوراق عمرى ، تسابيح شوق ، وتراتيل ناى وكون يغنى ، أغنيات النوارس فوق سطح الماء في البكور بلادى حريتى ، وهويتى ، زهور جيدى ومعصمى ، لن ندعها للمصير المؤلم ، يارب .. استجب للدعاء ، فلتحيا مصرنا اليوم والغد. فلتحيا بلادى حتى آخر الزمان .

فى الأفق معاول هدم

قدر مصر العظيمة أن يدق أبوابها إرهاب أسود لا دين له ، يعصف بسلام المصريين ، غريب على مجتمعنا الذى عاش على جانبى نيل الوفاء ، فعشق الفن ، والفن يهذب النفس ويسمو بالروح، إرهاب لم نشهد مثيله ، يحرم كل المحبين من شمسك يامصر ، يحرمهم من سواحلك النادرة ورمالك الخلابة ، من آثارك وناسك الطيبين ، تلك القلوب سوداء حرمت عشاق مصر من المجىء باحثين عن الدفء وروعة الحضارة . وقدر مصر أن تمتد إليها الأيادى الخبيثة ، تسعى لكى تهوى السفينة فالمتربصون بها كثر ، ومخطط التقسيم يجرى على قدم وساق . أعيتهم الحيل لشق الصف الوطنى ، باللعب على ورقة الفتن الطائفية ، والتى ثبت فشلها لأن العلاقة الأبدية بين المصريين ،

ضاربة فى الأعماق عبر الزمان ، لايمكن أن تدمرها أية عواصف أو براكين .

على الرغم من ذلك فإن الإرهابيين لا يملون تكرار المحاولات الدنيئة ، يتفننون فى قتل البشر ، يحطمون قلوب الأمهات ويكسرون قلوب الآباء ، فيموت الفجر قبل أن يولد فى الأفق .

لعل الطمع هو نقطة ضعف عديمى الخلق والدين ، يبيعون الإنتماء للوطن الأبى بحفنة من الدنانير ، لأن أعداء مصر لا يسرهم أن تعود بلاد المعز رائدة فى المنطقة العربية تعيد إلى الدنيا أمجاد السنين

وهاهى مشاريع التنمية التى وضعت لها الدولة اللبنة الأولى عمليا ، سوف تنقلنا نقلة حضارية ، والتى تضر بمصالح أعداء الحياة ولكنهم أعداء لأنفسهم ، وكذلك يفعل شركاؤهم الذين يمولون جماعات الإرهاب بالمال والعتاد ، ويوفرون لهم معسكرات التدريب للنيل من وحدة هذه الأمة باستمرار .

وهؤلاء يدبرون كالشياطين فى الظلام الدامس ، يخططون كيف يفجرون الكنائس على رؤوس المصلين الأبرياء ، ولم يعد أمامهم إلا ضرب ثوابت الوحدة الوطنية ، فلم يكتفوا حتى بحرق معظم الكنائس الأثرية منها والتى يعود تاريخها إلى القرون الأولى من الميلاد ولا يمكن تعويضها علما بأنها كانت تدر للسياحة دخلا جيدا لا يستهان به .

لقد عانى المسيحيون بعد ثورة الثلاثين من يونيو المجيدة ، معاناة غير عادية ، فها هم الإرهابيون يفجرون بكل خسة وندالة الكنيسة البطرسية فى مشهد أدمى الحجر والشجر ، وكان الشعب حينها كان فى اندماج مع رب المجد بالصلوات والتسابيح ، (كيرياليسون كيرياليسون كيرياليسون) . وحينما بات المصلون على مقربة من تناول الأسرار المقدسة ، وكانت الساعة تشير عندئذ الى العاشرة صباحا ، دوى الإنفجار فى أرجاء الكنيسة ، فاهتز قلب العاصمة وتناثرت أشلاء النساء والأطفال على المقاعد والأناجيل ، وراح الصراخ والعويل ، يدب فى أروقة الكاتدرائية بالعباسية ، ويهز مقر قداسة البابا تواضروس الثانى بابا الأسكندرية وبطريرك الكرازة المرقسية فى ذات الوقت . أما القتلة فراحوا يهللون ، مهنئين بعضهم البعض ، كلما تراءت لأعينهم أشلاء الضحايا ، والعيون من الفزع

تصرخ : (ارحمنا ياالله ثم ارحمنا) .

راح الجبناء يغتالون الشمس ، بالرقص فوق الدماء التى انهمرت كالسيل ، فأغرقت ساحة الكنيسة والدرج ، ثلاثون شهيدة كانت كلهن أمهات وجدات وفتيات ، وهناك أجنة فى البطون ، غافلهم قاتل جبان ومعه المحرضون على ارتكاب كل الموبقات.

عجبا فالمجرمون لا يسترون وجوههم من العار ، وهم ينحرون الوطن ، لقد باعوا الضمائر بالبخس، مزقوا الفجر ، فكفت الطيور عن الغناء

غرسوا النصال فى أجساد أطفال البراءة ، دمروا بيوت الله على رؤوس المصلين ، تبا لهم إنهم سارقوا الفرح المنافقون ، هاهم ينتقمون من المسيحيين الذين انتفضوا خوفا على مصر ، وكانت تسرق على مرأى ومسمع من العالم كله فى عام هو للخيانة موعد

وللحقيقة فالمسيحيون لا يأبهون بالتهديد والقتل ، الكل إرتأى أن واجبهم الوطني ، يحتم عليهم الإصطفاف جنبا إلى جنب ، مع إخوتهم المسلمين فى ثورة الثلاثين من يونيو، حتى لا تضيع هوية دولتنا المدنية ، ولو كان ثمن الحرية الاكتواء بنار الحرمان من فلذات الأكباد .

انتفضت مصر ضد حكم أهل الشر ، خائنى الأوطان ، الذين استبد بهم اليأس ، فأخذوا على عاتقهم أن يعيدوا بلاد الحضارة إلى العصور الظلامية ، وإلى الجزية يعود المسيحيون ، لكن مصر لا تعرف المستحيل ، لأن قاهرة المعز لا تعرف الإنكسار والخوف ، وستظل عصية على التقسيم ، فيد الله فى هذه الأرض حصن حصين

وأقباط مصر جبل من الإيمان ، معاول بناء ، وطنيون ، عزمهم أكيد ، هكذا يقول تاريخ الجدود ، ولن يستسلموا أو ينساقوا كالقطيع .

لن يرحلوا عن الديار التي ارتوت بدمائهم في كل الحروب ، لن يتركوا أرض الإيمان ، أم الهرم والأديرة والكرم ، والمئذنة والصلبان، مصر التى سبقت الأمم فى العلم والإيمان ، مصر التى بنت المعابد قبل الزمان بزمان مصر الخوص وفانوس رمضان ، مصر العبور العظيم ، إنها أرض السلام.

ومـن أجـل هـذا سـطرت خـاطرة بعنـوان (عنـد العاشـرة) وقـدمتها فــى لوحــة كبيــرة لــرأس كنيسـتنا الأرثوذكسـية البابـا تواضـروس الثـانى لتبقـى إلـى جـوار لوحـة شـهداء ليبيـا والتـى وضـعت لهـا عنـوان «طريـق السـماء» ، خمسـة وعشـرين شـهيدا ذبحـوا علـى سـواحل البحـر المتوسـط بمدينـة سـرت ، فـى مشـهد يعكس قوة إيمان الشـهداء ، والجبنـاء بالنصـال خلفهم فـى انتظـار إشـارة البدء .

عند العاشرة

وجلست وبين أناملى قلم رصاص ، بعض من ورق
ورصاص فى الفؤاد شل الحروف
فانهمر الدمع كالموج
حاولت أن أخط ثلاثة حروف (م - ص - ر)
فسال الدم حتى أغرق الدرج
صرخت : النجدة .. النجدة
ربما كابوس كالذى يأتينا من صور الكهوف والجحور
وبيت العنكبوت
فهل من مجيب ؟
ياالله ماذا دهانى كل ماحولى ضباب ؟
الشمس كانت هنا منذ ثوانى
رائحة البخور التى تنعش روحى
ضوء الشموع الحانى
القناديل ، سلة القربان ، أين راحوا ؟
صوت حفيدى كفّ عن الترتيل
وكان يقف بين الكبار
عيناه تلمع بالفرح من فرط إعجابى
كبرت يا «مينا» ، هذا العام صُمت معى الميلاد

أرى فيك حنان «فادى» ولدى البكر
عريس السماء منذ ستة أعوام
ياالله ..
من هؤلاء الذين تناثرت أشلاؤهم فى كل ركن ؟
وبدأت أتحسس وجهى الملطخ
أزيل من الدماء بعضا
كى أرى وجه القمر ، فوجدت الظلام
لكن هناك دائما عود ثقاب
وإلى النهر أسرع الخطى
أرتوى من ظمأ للأمان
يانيل (ياليتنى موجة فاحكى الى لياليك ماشجانى)
فإذا بالنيل قد تصحر ، والشراع تكسر
تهاوى السفين فهل من منقذ ؟
يشردنى الخوف ، يثقلنى ظلى
تكتسى روحى بنار
ورحت أبحث عن طريق للرجوع
ينجينى من عصف الليالى
فلم أجد إلا السماء
رفقا بقلبى ياربى هل أنا فى حلم ؟

كنت فى بيتك أدعوك أن تحفظ لى أعز الولد
«مينا » حبيبى ونور عينى
طلعة الفجر البهىّ
الشماس الصغير ، الحنون الجميل
وفجأة دوّى الصراخ مع التكسير
تطايرت العظام مع الصلبان
المقاعد والأناجيل
كل شىء تهاوى من تفجير الشياطين
إلا الساعة فقد أبت أن تدُق
لتظل شاهدة أنه فى العاشرة من صبيحة هذا اليوم
أطل الإجرام بوجهه القبيح
يحصد الأرواح قبيل عيد الميلاد المجيد
ياالله.. بحثت عن «مينا» وهو أمانة فلم أجده
فلتطمئن قلبى وإلى حضنى أعده
مازال صغيرا لايدرك مايحاك فى الخفاء للوطن
لا أتحمل العيش دون الغالى
لمن حكاية قبل النوم ؟
من يهدينى الورد فى يوم الأم ؟
عند المشيب مينا عكازى

وظللت أرقب السماء علّها تمنحنى الجواب
وكلى أمل أنها لن تخذلنى
يا «أم النور» حفيدى إلى أين ؟
يامريم يا أم الكل
«مينا» تاه فى الزحام لايسمعنى
قولى له أننى فى انتظاره على حافة النهر
سوف أصنع وإياه مراكبا من ورق
نطعم العصفور
وفى نهاية الأسبوع نحفظ التراتيل والمزامير
ياحبيبى
يابهجة أيامى أين أنت يازهر الربيع ؟
قلبى من دونك يتمزق
وبينما أستدعى القديسين الواحد تلو الآخر
لمحت الأكاليل بالنور تبهج كل الكون
خمسة وعشرين إكليل بين يدى رب المجد
هديته لشهداء الكنيسة البطرسية
تطوقهم الملائكة والرسل الأطهار
ثم جاء صوته فى صدى الجدول :
أنا هنا إطمئنى

ياجدتى ..

أشتاقك كثيرا ، صلى من أجلى

وإلى أن يحين لقاؤنا فى السماء

فلتفرحى ولتهنئى معى بالإكليل

حضن البتول والسيد المسيح .

والسؤال الآن :

ماذا جنيتم يا قساة القلوب بعدما تلونت مياه البحر المتوسط بالأحمر القانى ؟

ماذا جنيتم بعدما ترملت النساء ؟ أى بطولة تدّعون وأنتم ترهبون الرضع والصغار ؟

ألا تدرون أيها الجهلاء أنكم تسيئون إلى الدين السمح ؟ لماذا تغفلون أن عقاب الله آت ، فى جهنم وبئس المصير ، والندم حيث لاينفع الندم ؟

أما قلبى الممزق من هول ما حدث ، فقد أوحى إلى بضرورة زيارة أمهات الشهداء ، بقرى مركز سمالوط محافظة المنيا ، أحاول أن أساهم ولو بالنذر الضئيل من تطبيب الجراح التى ألمت بهن ، أخفف عن الأمهات والجدات والأطفال بعضا مما أصاب قلوبهن من حزن دفين ، مشاهد يندى لها الجبين ، الأسر التى تعيش تحت خط الفقر ، فقدوا العائل الوحيد ، فقدوا السند والظهر ، الأبناء قتلوا ذبحا على مرأى ومسمع من العالم المتحضر ، فمتى يستفيق لخطر الإرهاب الذى بات لا يستثنى أحدا ، كيف السبيل لردع عديمى الرحمة ، عديمى الدين ؟

يقول السيد المسيح له المجد : «طوبى للجياع والعطاش الى البِر، لأنهم يشبعون» (إنجيل متى)

أما طريق السماء فكانت كلمتى إلى أرواح شهداء.

طريق السماء

ياحبيبى ...لا تكتئب
لا تنفعل وغض الطرف عن طابور
كان على مرمى البصر
لا تخف من جحافل اليأس تشعل الكون
فتصرخ النوارس بأنات مغترب
لا تنزعج من وجوه طغت بالقهر والكذب
الجبان من تخفى ليمزق الطير
على أفنان الشجر
من حرق السنابل وكرمة العنب
نحو الصلاة انطلق
نحو السحاب نحو الشهب
ولّى الألم وانفلات الجرح صوب المطر
من أجل السماء احتمل
واظفر بالمسيح حبيبا يناديك
فى زمان القهر واللهيب المستعر
من الدم المراق يولد الألق
لن تساوم فى المنافى ، لن تهادن يابطل

من البحور والقوافى سطر أروع الشعر
أبياتا من فضة وأخرى من ذهب
لن تجف المحبرة ، لن يغفو الورق
قبل أن يكتب فى الحنايا :
ها هنا يرقد بسلام أطيب الثمر
والأنامل تهرع نحو أيقونة الجمال والحب
الشموع فى ابتهاج والقناديل للشهيد بالطهر تحتفل
فلتدق النواقيس إيذانا بترديد المديح العذب
من ظن أن وميض النصل إن شق العنق
فتهاوى الجسد سترهب
(صمويل وهانى وملاك وجرجس
كيرلس وعصام ولوقا
بيشوى وماجد وميلاد ومينا
ملاك ويوسف
تواضروس وسامح
صمويل وبيشوى وعزت
أبانوب وجابر)
فهو سادر فى واهم

غاية المنى عشرون إكليل
تطوق كل الجباه عند الشفق
وعلى صفحة ماء البحر المخضب بالدم
كم تراءى لهم وجه رب المجد
بالحب يامريم ، بهالة النور من كفيك
كان احتضان اللآلئ
بين تهليل وترنيم وطريق مزدان
بالأقحوان والطيب
فى الفؤاد صليب
على الذراع حفر
ياأمى ... افرحى ..
كفكفى الدمع الهطول واسعدى
على الأرض كانت غربة النفس
وبين أزقة الخوف
كم عرفنا تباعد الأحرف
حين أطلت من جحورها الأفاعى
تأد الأمانى ، توصد فى القلوب كل باب
تصادر الأفراح

تفجر ألف بركان وبركان
ياأمى ...
لاتحزنى قولى لهم :
ولدى للوطن مجد وفخر
ولدى .....
رمز الفداء للأزل .

أحد الشعانين الدامى

لم يكد يمر شهر على حادث البطرسية ، حتى روعت مصر فى أبنائها من جديد ، كان يوم الإحتفال بأحد الشعانين ، يوم المسرة والإبتهاج ، فالمسيحيون منذ الصباح الباكر ، هاهم يتجهون إلى الكنائس حاملين سعف النخيل ، وقد زين بالورود والرياحين ، يصنعون منه أطواقا للصغار ، سلات القربان ، نصلى ثم ننتظر حتى تبارك الكهنة هذه الأغصان إنه لفرح عظيم ، ولم لا أليس هذا هو اليوم الذى استقبل فيه أهالى أورشليم السيد المسيح بالسعف الأخضر وأغصان الزيتون ؟

استيقظت مصر على كابوس رهيب ، مشهدين مروعين جديدين فمازلنا نئن من توابع زلزال الكنيسة البطرسية . وصار يوم أسود نضمه إلى قوائم الأحزان ، يوم أبت فيه الشمس ألا تسطع.

والأحباء يتساقطون فى نهر الطريق ، فى الهيكل ، وأمام المذبح المقدس

أحد الشعانين الدامى يوم بكته كل عين ، ترفض تكرار الإجرام على أرض الطهر والحب ، بكاه المسلمون ، نددوا بالأعمال الوحشية التى تشوه وجه مصر الحضارى ، فراحوا بالدماء يتبرعون ، تعاطفوا مع إخوتهم فى الوطن وفقدت مصر فى هذا الحدث الإرهابى من أبنائها خمسا وأربعين شهيدا . ألم نكن على مر العصور يدا بيد نحمى أرضنا وعرضنا ؟ لم تفرق رمال سيناء بين محمد ومينا . والسؤال هل هناك من يستطيع أن يميز بين الميسحى والمسلم إلا فى الصلوات ، عندما يذهب المسلم إلى مسجده والمسيحى إلى كنيسته ؟

فنحن مسيحيو الديانة ، ثقافتنا عربية وإسلامية ، نحيا سويا بمحبة فائقة ، يحسدنا عليها العالم بأثرة ، ومعلوم أن أكبر عدد من المسيحيين فى الشرق الأوسط ، يعيشون على أرض مصر المباركة ، وهاهى قوى الضلال تعود لنشاطها الإجرامى البغيض ، تفجر كنيستين فى آن واحد ، مارمرقس بالأسكندرية ، وكنيسة مارجرجس بطنطا

لقد تلطخ سعف النخيل بالأحمر القانى ، وأطفئت القناديل وبكت الشموع ، اختلطت رائحة البخور براحة الموت ، إرهاب أسود راح ضحيته العديد من المسيحيين والمسلمين أيضا ، ممن كانوا يقومون بتأمين إحتفالات الكنيستين .

وجاء عيد القيامة المجيد بطعم الصبار ، نكست أعلام البلاد واتشحت فيه مصر بالسواد مجددا حزنا على أرواح الضحايا الأبرياء، الذين كانوا يرنمون ، يتضرعون إلى الله أن يحفظ بلادهم من كل مكروه ، وأصبحنا نجوب أنحاء البلاد ، نودع الشهداء الأبرار ونقيم الجنازات ، فالشهداء مآلهم فردوس النعيم مع الملائكة والرسل الأطهار المكرمين .

أما فاقدو الخلق والدين ، عديمو المروءة والشهامة ، فنسأل الله أن ينير بصيرتهم قبل فوات الأوان ، نسأل الله أن يتوبوا عن أفعال الشياطين .

فـ«طوبى للمساكين بالروح لأن لهم ملكوت السماوات» (إنجيل متى)

وبما أننى أم وجدة ، سطرت على لسان كل أمهات الشهداء ، اللاتى فقدن الولد وأعز الولد ، دون وازع من ضمير هذه الكلمات.

خواطر أم الشهيد

لن تستطيع اقتحامى رغم المذابح
رغم الخراب المميت
ياعاشق الدماء ألاتستحى من الأفعى ، تشتهيها
تجمع النار ثم تسرع الخطى نحو النوارس
تغلق عليها الدائرة ؟
تشرع سيفك وعلى دفتر الموت تسجل اسمها
عاشق لفجيعة الطيور تودع صغارها ؟
الآن عادت للبحر أحلامه الغافية
عادت البلابل المسافرة تسبّح للنور .. للحب
بعدما نام جناح بدفء جناح ، فالأفراح آتية
لن يضيق المكان بالجالسين
مع القديسين والملائكة
أيها التائه اللاهث نحو الخبز العطن
تنسج الوهم من العنكبوت
تدق على الشباك ، ثم تغرس الرمح فى الخاصرة
لكنك لا تربك إلا أشجار الصمت والطرق الخاوية
أيها المسكون بالبؤس تلتحف القيظ

تشرب الدماء قطرة قطرة فتوجت (بالآفة المقبلة)
سوف تمتد كرات اللهب صوبك معلنة
أن النيران للشياطين سواسية
فإلى الرب ..
إلى من من أحبنى وفيه اكتمالى
أنا على يقين بأنك لن تنسانى
فالروح عندك والزهور غدت طليقة الأغصان
دعوتك راجية أن تحتوينى
وتثبت فيّا حتى ألفظ حقدى على الجانى
الحقد الذى يشقينى ، فيذوب قلبى من أنات وجدى
ياإلهى ...
كأن ثقلا يعصرنى كلما تراءى لعينى الذئب
يعربد بالسيف فى شغف لقتل ابنى
أحيا وأفنى دون اتزان
أضيق بصمتى ، وجفا البوح لسانى
جريحة أتلوى طريحة بالمكان
ولدى الراحل عنى هل يرانى ؟
بيوم الأم تذكرت صباه
وجهه الغض الصبوح

ويد تمتد بزهر ندى يعانقنى
ثم يدعونى كى أغمض عينى
ليضع بفمى سكر النبات
ياإلهى
ولدى بين أحضانك يغفو
« مريم » هى الأحن عليه منى
لكن السقم أحيانا يتسلل الى روحى
أحتاج اليك ياإلهى تنتشلنى
من عواصف الحرمان تسرى
مد يديك تحتضنى فما كنت يوما غافلا عنى
فى الفرح أو فى الضيم لا تدعنى
ياربى ..
أشتاق ابنى
منذ عام كان هنا يخبئ هديته ليفاجئنى
عندما يطبع قبلته على خدى
اليوم عيد الأم أراه قادما بالورد
يتبعنى فى كل ركن ليحتضنى
كم أتوق للمسة حانية ، وقد هفا قلبى لإبنى
أدنو الخطو منه

صرت أناديه فيرجع لى صدى صوتى
ياربى ..
ولدى الشهيد عطّر الكون حولى بات لايفارقنى
أعيتنى قوافل الهواجس ، حلمى الدامى يطاردنى
فى صدرى بركان الغضب حبيسا كالمارد يزأر
ياإله الكل ..
أنصت إلى صرختى
داو عميق جرحى وسامحنى
لأسامح أعمى القلب والعين

زيارة تاريخية للوحدة والأخوة

كنا على يقين أن الحبر الأعظم البابا «فرنسيس» لن يتوانى عن زيارة مصر العظيمة ، أما برنامج الزيارة المعد سلفا ، فلن تبدله الأعمال الإرهابية الطائشة ، فلدى قداسته إيمان عميق بأن الحوار المسيحي الإسلامى هو السبيل الوحيد للتغلب على أفكار المتطرفين ، الذين وضعوا المسيحيين هدفا للأعمال الإجرامية ، ويسعون بكل الطرق لطردهم من ديارهم ، بعد أكثر من ألفى عام ، كما شاهدنا فى الشام وبلاد الرافدين . فراح الحبر الأعظم يرفع الصلوات لرب المجد ، وشفاعة القديسة العذراء الطاهرة مريم ، أن ينقذ مصر التى ابتليت بالعناكب والعقارب ، أما الثعابين ففى الجحور والكهوف تختبئ حينا ، وتنفث السم الدفين أحيانا أخرى . يسأل الرب أن يحمى البلاد

من الغربان والبوم ، فخطر الإرهاب لم يعد يفرق بين المسلم والمسيحى ، الكل فى قارب واحد .

فهاهى سيناء الحبيبة مازالت ترتوى بدماء جنودنا الأبطال ، مازال ضباط وجنود الشرطة لا يعلمون متى وكيف يخترق رصاص الغدر قلوبهم ، فلم يعد يمر على مصرنا يوم دون استشهاد أبنائنا وأخوتنا من خيرة شباب مصر ، نسأل الله أن يحفظ وطننا من عدو الخير

كان الحبر الأعظم يدرى أن المصريين من هول ماعانوا من إرهاب يزداد مع الأيام وحشية ، باتوا فى أشد الاحتياج للدعم المعنوى أكثر من أى وقت مضى ، فقداسته القامة السامقة والقيمة المتفردة في العالم على امتداده ، وأن مجيئه فى هذا التوقيت يعنى لهم الكثير .

وهاهى مصر تستعد لاستقبال الرمز الدينى الكبير ، وكان الشعار الرائع ، بابا السلام في أرض السلام ، شعار أختير بعناية فائقة ، هو فى الأصل رسالة قوية تهزم قوى الشر ، نرد بها على كيد المعتدين ، فلا سبيل إلا التحدى والتصدى ، ليظل المصرى مرفوع الجبين .

وهلت البشائر وارتسمت على كل الوجوه بسمة من القلب ، كفكف الدمع ، وعادت أسراب الطيور تجوب الأماكن التى شهدت وجود صاحب الغبطة ، وقد بدت أكثر سعادة من ذى قبل فشع الضياء على الهرم ، وبات النيل أكثر حنانا ورونقا

هاهو رسول السلام ، يرفض أن يتجول فى أرجاء المحروسة بسيارة مصفحة ، لإيمانه الراسخ بأن رسالته السماوية عطية من الله ، إذن فالحماية منه وحده . لقد رفض أن يضع ستارا بينه وبين من أحبهم الذين جاء من أجلهم ، وفى لحظة فارقة من عمر هذا الوطن الخالد ، أراد أن يتواصل مع المصريين أقباطا ومسلمين وجها لوجه، ياله من وداعة وحنان وجمال ، يفوق كل وصف.

من أجل ذلك آتت الرحلة ثمارها . وراح الحبر الأعظم يقدم التعازى فى شهداء مصر ، يصلى من أجل الشفاء العاجل للمصابين . ف «طوبى للحزانى لأنهم يتعزون »

(إنجيل متى)

ولقد سطرت للحبر الأعظم هذه الكلمات :

الحبر الأعظم

صرح بروما مبارك وضاء
تحميه روح القدس والعذراء
يحمى الحقيقة بالعزيمة ملهما
لايعتريه الخوف والإعياء
تعليمه يهدى القلوب محبة
وتشع من كلماته الأضواء
يرعى تعاليم المسيح ومن قضى
غير الذى أوصى المسيح هراء
يأيها الحبر الجليل تحية
من شعبنا بركاتها شماء
قدت الكنيسة بالمحبة والهدى
ورعتك بالإخلاص فيه سماء
فى حب مصر بلغت مايهوى العلا
منها ومايتعشق العظماء
فإذا خطبت فحانيا ومؤثرا
وإذا وعظت يشع منك صفاء
وإذا دعوت فمصر أول أمة

يهدى لها أمل الرخاء دعاء
وإذا خطوت نرى يسوع مجسدا
ليقود خطوك نوره المعطاء
فلتبق حكمتك الأصيلة بيننا
نورا يشع تضمه الأحناء
وليبق عزمك مانحا أجيالنا
حب الحقيقة كيف شئت وشاءوا

البابا والرئيس الوطنى

وهاهى شوارع القاهرة تبتهج بأعلام البلاد ، وأعلام دولة الفاتيكان ، لوحات الترحيب بالضيف الكريم تزدان بالأهرامات العريقة وحمام السلام وبينهما صليب وهلال ، والبابا تعلو محياه ابتسامة حفرت بالأعماق حين بارك أرض النماء . وهاهو رئيسنا المحبوب يستقبل الحبر الأعظم فور وصوله قصر الإتحادية ، وأجريت لقداسته مراسم الاستقبال الرسمية .

عزف السلام الوطنى للبلدين ، والرئيس السيسى ليس فقط رئيسا لمصر ، بل هو ربان السفينة التى أنقذها وكانت على وشك الغرق ، لقد عبر السيسى عن تقديره لشخص البابا فرنسيس ، فمواقفه الدولية جميعها تستند على القيم والمبادىء الروحية والإنسانية ، فقداسته قيادة دينية وروحية

عظيمة ، يجلها الملايين فى كل أنحاء العالم فهو موضع إعجاب واحترام ، يزرع الخير فى القلوب ويطرد اليأس من حياتهم

فإصرار قداسته على إتمام الزيارة فى موعدها المحدد ، إنما يبعث برسائل عدة ذات مغزى فى وقت عصيب يمر به العالم كله .

عبر السيسى عن اعتزازه باللقاء الذى عقده مع البابا فى الفاتيكان نوفمبر ٢٠١٤ ، هذا اللقاء الطيب كان مناسبة يتعرف من خلالها السيسى على شخصية البابا المتميزة ، معربا عن عظيم التقدير لدعم قداسة البابا لمصر . فمصر على مدى تاريخها ، تقدم دائما النموذج المعتدل والوسطى ، بما تمتلكه من مقومات حضارية وتاريخية ، كما أن المسيحيين هم جزء أصيل فى النسيج الوطنى المصرى.

فالدولة تتعامل مع الجميع علـى أسـاس المواطنـة ، والحقوق الدستورية والقانونية ، وترسيخ ثقافة المساوة والانتماء الوطنى ، الأمر الذى حصن مصر بنسيج اجتمـاعى قوى ، تمكنت بفضـله من دحر قوى التطرف والظلام .

فمصــر سـطرت فصـولا مضـيئة علــى مـدى التــاريخ الإنسانى ، حينما استطاعت أن تمزج بين الرسـالات السماوية ، فخرج منها نور الحضارة ، والثقافة ، وشتى ضروب العلم إلـى العالم بأثره ، لكى يضـىء الطريق نحو السلام والتسامح وقبول الآخر .

والمؤسف أن العـالم اليـوم بـات يشـهد هجمـات قـوى الشـر الإرهابية ، تضرب في كل مكان دون تمييز ، فتحرمنا من الأهل والأصـدقاء ، قـوى الشـر والعنـف التــى تصـر علــى ارتباطـهـا بالإسلام ، والإسلام منـهم بـراء ، فالدين السمح يـدعو للرحمـة ، يدعو إلى العمل الصالح الذى ينفع الناس ، الإسلام يأمر باحترام الآخر وحقه فى اختيار دينه وعقيدته ، ومصر تقف فى الصفوف الأولـى لمواجهـة الإرهـاب فـى صـمود وإبـاء ، وتـدفع ثمنـا لهـذا التصدى ، لكنها لن تقبل بالهزيمة ، ولن تقبل أن يقسم شعبها إلى شيع وطوائف تتنـاحر فيما بينـها .

ومن أجل القضاء كليا علـي خطـر الإرهـاب ، فـإن الأمـر يسـتلزم تكـاتف كـل القـوى المحبـة للسـلام فـى المجتمـع الـدولى لتجفيف منابعه وقطع مصادر تمويله .

أما الحبر الأعظم فقد أعرب عن عميق سعادته بزيارة مصر التي تسعى دوما إلي تحقيق السلام بما لها من أدوار تنويرية سجلها تاريخ البشرية بمداد من نور . فالتنوع الدينى والحضارى والثقافي أهم مايميز مصر ، التي تلعب دورا محوريا فى الشرق الأوسط ، وتبذل من الجهد الكثير من أجل التوصل إلى حلول للمشكلات المعقدة ، والتى تتسبب فى معاناة الشعوب ، كما ان البابا أيضا يدعم جهود مصر لوقف العنف والإرهاب . وأنا كمصرية مسيحية أعشق بلادى ، وأفديها بروحى ، أعيش بين إخوتى المسلمين دون تمييز منذ نعومة أظفارى .

لدى شهادة حق أسجلها للرئيس السيسى ، من خلال هذا الكتاب المتواضع ، والذى أشرف بأن يحتوى بين دفتيه كلمات للحبر الأعظم البابا فرنسيس بابا الفاتيكان فنذكر أنه عندما تسلم الرئيس السيسى مقاليد حكم البلاد إبان ثورة الثلاثين من يونيو المجيدة ، شعرنا كمسيحيين بارتياح واطمئنان بأن القادم كله خير بإذن الله فهو يرفض كرئيس دولة رفضا باتا ، أن يظلم جزء أصيل من النسيج الوطنى ، فللمسيحى كما للمسلم كافة الحقوق ، وعليه كافة الواجبات بمقتضى الدستور . وجاء عيد الميلاد المجيد ليفاجىء جموع الشعب المصرى ، أثناء إقامة مراسم الإحتفال بقداس الميلاد بوصول الرئيس السيسى إلى الكاتدرائية المرقسية بالعباسية ، ليقدم التهنئة بالعيد لأقباط مصر

قدم التهنئة لكل المسيحيين فى شخص قداسة البابا تواضروس الثاني ، وكانت مفاجأة رائعة، بل نستطيع أن نقول إنها أروع هدية على الإطلاق لجموع الشعب المصرى ، فالسيسى يحمل بين جوانحه قلبا مخلصا محبا وطنيا ، نعم الدين لله والوطن للجميع ،

لقد ثمّن السيسى موقف المسيحيين من ثورة يونيو المجيدة ، هؤلاء الذين لم يألوا جهدا فى النزول بأعداد غفيرة والوقوف صفا واحدا ليس خلفه ، بل خلف الوطن ، من أجل الحفاظ على هوية الدولة المدنية ، غير عابئين بالأثمان الباهظة التى سوف يدفعونها

وأولها الإنتقام من كنائسهم بحرقها وتدميرها أو الإنتقام منهم بافتعال الأزمات لتزداد معدلات الفتن الطائفية بشكل غير مسبوق .

أراد السيسى بزيارته للكاتدرائية أن يقول للمتشددين .. أن الإسلام لايرفض تهنئة المسيحيين بأعيادهم ، التهنئة نوع من البر الذى أوصى به الرسول الكريم ، والتعامل الإنسانى النبيل لشركاء الوطن الذي يتسع للجميع ، فالمسيحى لا يمكنه التقاعس عن الدفاع عن تراب مصر، بل يذود عنها بكل مايملك ، هكذا يشهد التاريخ .

من أجل هذا قوبل السيسى بعاصفة من التصفيق ، والهتاف الجميل (مسلم مسيحى يد واحدة) وأمر أيضا بأن تشرف القوات المسلحة على ترميم وإصلاح كل الكنائس التى أضيرت من أهل الشر . أما العمليات الإرهابية فلم تتوقف ، بل توالت من كل حدب وصوب ضد المسيحيين ، بتفجير كنائسهم والإعتداء عليهم وعلى ممتلكاتهم . إنه إرهاب أعمى دخيل على مجتمعنا المسالم ، فلم يذكر التاريخ يوما أن مصر دولة باغية أو غازية لكن السيسى فى المقابل أبى أن يقدم واجب العزاء إلا بعد الثأر للدماء الطاهرة .

وكما أخذ حق الشهداء بعد حادث ذبح شهداء ليبيا ، أخذ حقهم بعد حادث تفجير أوتوبيس المنيا وكان يضم بعض الأسر أثناء قيامهم برحلة لزيارة بعض الأديرة ، دك وحطم السيسى معاقل المجرمين فى عقر دارهم ، كما دمر مراكز تدريبهم وإيوائهم على حدودنا الشرقية .

بالفعل هو رئيس لكل المصريين ، السيسى يمثل الصورة المشرقة للإسلام الذى عشنا فى كنفه أكثر من ألف وأربعمائة عام .

فهو مصرى مسلم متدين يضع فى اهتماماته ، إعادة مصر دولة متحضرة ، تشع بالأمجاد ، كما كانت حتي نهاية الستينيات ، يرفض أن يظلم أى إنسان ... فالدين المعاملة .

وفى الوقت الذى يواجه فيه السيسى الإرهاب اللعين ، يعيد أيضا بناء الدولة من خلال مشروعات التنمية العملاقة التى سوف تقفز بمصر إلى مصاف الدول المتقدمة

وكانت كلمة الرئيس السيسي فى المؤتمر بالغة الأهمية ، فبعدما جدد الترحيب بالحبر الأعظم ، الشخصية الدينية الرفيعة ، التى تبث روح الأمل فى نفوس البشر ، وتنزع الشر من القلوب قال : إن البابا فرنسيس المتشبع بروح الإيمان ، هو أيضا رمز التسامح والتعايش بين الأمم ، يسعى جاهدا لنشر الخير والعدل والجمال

وتواكب زيارة قداسته الذكرى السبعين لإقامة العلاقات الدبلوماسية بين مصر والفاتيكان، التى تأسست على الإحترام والقيم الأخلاقية الرفيعة.

ومصر تسعى جاهدة لأن تظل هذه العلاقة المتفردة نبراسا للحكومات فى كل دول العالم ، فى ظل مايواجهونه من تحديات غير مسبوقة من عنف وكراهية فالإرهاب يضرب فى كل العالم دون تمييز، ومن المؤسف أن يقترن الإرهاب بالدين السمح ، فالدين منهم براء ، يقول (إنجيل متى) : «طوبى لأنقياء القلب لأنهم يعاينون الله »

من أجل ذلك سطرت هذه الخاطرة لرئيسنا الإنسان :

الفارس

عصفورة تاهت عن السرب
جابت السماء بحثاعن حضن الوليف
ترنحت من الإعياء والخوف
على الحجر العتيق تئن من برد ونزف
والسحب لاتترفق
على خاصرة الرصيف
كان قطار الليل يمضى بسرعة البرق
ولاأحد يرق للبلابل أو زهر الياسمين
فى مساء اليوم التالى ، لمحته ممتطيا جوادا أصيلا
لملمت جناحيها ، فتشت بين الصخور
لترقد على مقربة من كثبان رمل
ربما التقطت حبات قمح ، سقطت سهوا من طائر ليل
زرفت عيناها دما ، فصرخت : أين الوطن والنشيد ؟
لتمتد راحتاه فى اليوم الذى أنهى فيه العام نصفه الأول بشعاع قنديل
فضمّد جرحا ، تسلّل إلى الجسد المنهك
أدفأ الفارس صقيعها قائلا : ياحنينى للربيع وصباح العيد ..
لاعليك من الغربة والريح ، لاتلعنى الزمان وصخب المسار

لن أترك دمعك الغالى حبيسا داخل فؤاد عصفور مستكين
دعك من الركب الغريب ، لنمضى الى الحقول
فالصبح آت يجمع على الود قلوبنا،
غردى حبا وطيبة ياكنانة
ارفعى الجبين يامحروسة
وهكذا لوّح الفارس النبيل القادم من نيل الوفاء بالأمانى الحبيبة
فتماهت درّة الشرق بين كفّيه
وصارت وإياه لمواسم العشق قصيدة .

بابا الكنيسة البطرسية فى الكاتدرائية المرقسية

ودنت لحظة الغبطة والسرور بقدوم رأس الكنيسة الكاثوليكية ، الذى جاء ليصلى فى الكنيسة البطرسية ويشاركه فى الصلاة أخوه قداسة البابا تواضروس الثانى ، صلاة مسكونية يتحديان من شوهوا الصبح فى عيون كل المؤمنين فى أرجاء الكون . جاء ليضع أكاليك الزهور على أجساد التسعة والعشرين شهيدا ، جاء ليطبب جروح المصابين ، أضاء الشموع والقناديل وصلى من أجل المسيئين الذى لا يدرون ماذا يفعلون ، عملا بقول السيد المسيح له المجد : (أحبوا أعداءكم ، باركوا لاعنيكم أحسنوا الى مبغضيكم ، وصلوا لأجل الذين يسيئون اليكم ويطردونكم)

تلك الكنيسة البطرسية التى أمر الرئيس

السيسى أن يعاد ترميمها بأقصى سرعة ممكنة ، حتى تقام فيها صلوات أعياد الميلاد المجيدة ، قائلا : أنه لن يدع الإرهاب يحقق مآربه الدنيئة

ستظل مصر عامرة بالمساجد والكنائس ، وجاءت كلمة البابا فرنسيس المعزية :

(آلامكم هى أيضا آلامنا ، إن دماءهم الذكية توحدنا) ولن ندعكم وحدكم فلا تخافوا

وهكذا يمثل الحبر الأعظم للكل المحبة الحقيقية ، الوحدة فى الإيمان ، وحدة القلوب والمشاعر ، وحدة الروابط البشرية والإنسانية .

تلك هى الأخوة الحقيقية التى تظل نبراسا للتاريخ ، وللأجيال القادمة ، وكما حل الروح القدس على التلاميذ عندما حضروا يوم الخمسين ، سيحل على المسيحيين المجتمعين حول المذبح ليرفعون الصلاة بقلب واحد

ومعروف بأن الكنيسة المصرية هى أكثر كنيسة قدمت شهداء للسيد المسيح ، على مدى العصور ، أما الكاتدرائية المرقسية بالعباسية ، فقد ازدانت ساحاتها بلافتات الترحيب ، فأضيئت بثلاث لوحات ضخمة لعلم مصر يتوسط صورتين للبابا فرنسيس والبابا تواضروس الثانى ، وشعار الزيارة «بابا السلام فى مصر السلام »

تلك الزيارة التى جاءت بعد عيد القيامة المجيد ، والذى احتفلت به سوياً جميع الكنائس هذا العام.

خطوة من أجل الوحدة

اقتربت اللحظة التي انتظرها ملايين المسيحيين، وهاهو أُسقف روما وبابا الكنيسة الكاثوليكية فرنسيس ، والبابا تواضروس الثانى بابا الإسكندرية ، وبطريرك الكرازة المرقسية ، يتقدمان بالشكر لله في الروح القدس لأنه منحهما الفرصة العظيمة للاتحاد معا مجددا فى صلاة مشتركة ، من أجل أواصر الأخوة والصداقة القائمة، بين كرسى القديس بطرس ، وكرسى القديس مرقس.

إن لحظة تواجدهما علي أرض مصر معا ، إن دلت على شىء فتدل على صلابة العلاقة التى تنمو بمحبة رب المجد مع الأيام ، من أجل التقارب والإيمان . هاهما يصليان معا من أجل مصر الحبيبة، من أجل الوطن الذى يعيش فينا ، كما قال مثلث

الرحمات قداسة البابا شنوده الثالث : « إن مصر وطن يعيش فينا وليست وطنا نعيش فيه » مصر هى الحضارة الفرعونية القديمة والإرث اليونانى ، والرومانى ، والتقليد القبطى والحضور الإسلامى.

مصر التى وجدت فيها العائلة المقدسة أمنها وأمانها ، هى أرض الشهداء والقديسين ، من أجل ذلك فقد آن الأوان لتوقيع البيان التاريخى حول الإعتراف بسر المعمودية بين الكنيستين الأرثوذكسية والكاثوليكية وهو أحد الأسرار المقدسة بالكنيسة ، لقد سعيا رأسا الكنيسة المرقسية والبطرسية لتلك الخطوة ، من أجل بلوغ الوحدة التامة بين الكنيستين ، وإنها لخطوة للأمام تحيى الآمال وبإذن رب المجد تكتمل

«طوبى للودعاء لأنهم يرثون الأرض» (إنجيل متى).

أحبك يا إلهى

ياحبيبى ...
أكتب اسمك فوق صحائف قلبى
بيراع يشرب من أوردتى
بمداد يقطر من شريانى
بالحنان تجمع منى شتاتى
فتغدو حياتى ربيعا من الأمنيات
ياحبيبى ...
لا تدعنى كلما اشتاقت لعينيك نفسى
فأنا دونك وأنت الرفيق الحانى
تضيق أرضى
موجات الصقيع تلفّنى
ويفيض بالملح جرحى
أضيع فى الأيام قسرا
أذوب فى الأشجان دهرا
البرق يعصف بالفؤاد يمزق أحنائى
بدّد ظلمة دربى فتغرد روحى
تزهر من فيض حنانك أوردتى

تملأ بالحب روحى تسكن أنفاسى
ضمّد جرحى ، كبّل فى وجدانى الخوف
دعنى أحيا سر الوجود ، فلا تطيل آهاتى
مد الكفّ لأسكن الفردوس وأغفو
وإذا أخطأت ، إملأ أنفاسى بالحب
لأعبر كل الأسوار
أشعل فىّ شموع الأمل الدافق بالإحساس
وبالعشق السارى فى أنهارى
بك تنجو روحى ، من قسوة هذا العالم
بك يسلم قلبى من ظلم جائر
أنت دربى ، لحن الروح يسرى
بك يزدان فكرى ، بالحنان أسقى الأرض
شمس النهار بسمة ظل وتمر حنّة
أهدم مدن الخرافة ،امح طقوس العرافة
أنام ملء أجفانى، تورق أيامى بالفرح
تدور السواقى ، أرنّم فى الخميلة
أحبك ياإلهى

القداس للمصريين

كان يوما دافئا الحب فيه هو العنوان ، وآمالنا فى الأعالى تنادى

المجد لله فى الأعالى ، وعلى الأرض السلام ، وبالناس المسرة

صار القلب يهلل اشتياقا : وطنى .. يامن سكنت قلوبنا جنات وريحانا ، تمد الفيافى بأحلى صور ، بك يعود الشعر والنثر ، منذ ساعات الصباح الأولى ، راح المصلون يصطفون فى طوابير طويلة ، والسعادة على وجوههم وكأنهم فى ليلة العيد .

سجل التاريخ أن التاسع والعشرين من إبريل عام ٢٠١٧ هو يوم الوفاء ، يوم الفرح ، هاهو الحبر الأعظم يصل إلى ستاد الدفاع الجوى ، ليترأس القداس الإلهى ، بمشاركة أكثر من خمس وعشرين ألف من المؤمنين ، ياالها من لحظات

روحانية ، يعجز عن وصفها القلم ، تهيأنا لسماع العظة والقلوب تتضرع للسماء ، ياربنا ، فلتحفظنا فى هذا اليوم المبارك ، وكل أيام حياتنا ، بارك شعبنا ، وجيشنا ورئيسنا ، الزرع والنيل ، المسافرين والمرضى والمتعبين ، وكل من يشكو ضيقا ، ياربنا نسألك السلام يعم على كل العالم

القى قداسته العظة التى استهلها بالسلام عليكم ، ثم توالت الكلمات عميقة المعنى

أولها أنه لا جدوى من الصلاة إلى الله ، إذا لم تتحول الصلاة إلى محبة موجهه للأخوة ،

ولا قيمة للتدين الظاهرى، إن لم يكن قائما على الإيمان وحب الآخر

إن الله يبغض النفاق ، الله يفضل عدم الإيمان على الإيمان المزيف.

أما الإيمان الحقيقى، فهو الذى يدفع القلوب إلى الرحمة بين الناس دون تمييز

وهذا الشعور يدعو إلى شجاعة المغفرة لمن يسىء الينا ، ومساعدة من يسقط ، وستر العريان ، إطعام الجوعى وإيواء المشردين وزيارة المسجون واليتيم ، وتقديم العون للمسنين ، أما حماية حقوق الآخرين ، فيجب أن تكون بنفس القوة التى ندافع بها عن حقوقنا .

وكلما زاد الإنسان إيمانا بالله ، زاد تواضعا ، وكان مسك الختام هو الدعاء لرب المجد ، وبشفاعة أم النور ، أن تضىء السيدة العذراء والعائلة المقدسة التي عاشت على هذه الأرض المباركة قلوبنا ، وأن تحفظ مصرنا الحبيبة ، التى قبلت منذ فجر المسيحية تبشير الإنجيلى مرقس ، وقدمت على مدى تاريخها العديد من الشهداء .

حل الربيع

بقدوم الحبر الجليل
حل الربيع ليزرع الدفء السخى
على القلوب وفى الربوع
ليذيب من برد الشتاء جليده
ويعيد للشمس السطوع
عاد الربيع لتنشر الأزهار عطرا
فى الفضاء وفى الضلوع
ويحيل شط النيل ممشى سندسيا
نضرا بديعا
تتألق الأزهار ألوانا بلا حصر
على الشطين فى نسق رفيع
فتعيد للقلب الصفاء
وتملأ الدنيا ضياء
وتحمل النسمات أحلام النقاء
فى بقعة قد خصها الخلاق بالإعجاز
دفاق الرواء
من سحرها حفظت حجارتها حضارتها

وعلمت الورى معنى الوفاء
كانت وكل الأرض مظلمة
منارا للسناء
منها سرى هدى العلوم
فيها سحر الفنون
وبها نمت عبر القرون
أديان كل الأنبياء

فى الفاتيكان دعوة للسلام

من منا لم يترقب بشغف لقاء رمزين للسلام هما : قداسة الحبر الأعظم البابا فرنسيس بابا الفاتيكان ، وفضيلة الإمام الأكبر شيخ الجامع الأزهر الدكتور أحمد الطيب

لقاء دافىء ، والحب ماثل فى العيون ، والصدق شعور جميل ، جعل المسلمين والمسيحيين في العالم يتوحدون فى الإخاء خلال هذا اللقاء ، الذى وصف بالبناء من أجل تعزيز التعاون ، والشراكة مع المسلمين

قال الحبر الأعظم قبل الحضور إلى مصر : (آمل أن تشكل زيارتى تثبيتا ، وتشجيعا لكل المسيحيين فى الشرق الأوسط) فقداسته يحدوه الأمل فى أن تكون هناك مساهمات فاعلة فى الحوار الدينى مع العالم الإسلامى ثم أردف :إن العالم

(الذى يمزقه العنف الأعمى) أصبح فى أمس الحاجة الى السلام والحب والرحمة .

أما العالم الجليل شيخ الجامع الأزهر الدكتور الطيب ، فقد بدأ فى توطيد أواصر المحبة والسلام ، بتلبية دعوة بابا الفاتيكان فى شهر يونيو عام ٢٠١٦ ، بعد عدة سنوات اتسمت فيها العلاقات بشىء من الفتور بين الجانبين . فكانت الزيارة زيارة تاريخية ، حيث أنها أول زيارة لشيخ أزهر الى الفاتيكان ، أكبر الكنائس المسيحية فى العالم ، كما أن الفاتيكان معترف بها كدولة ذات سيادة . وهناك تاريخ ممتد للحوار بين الأزهر والفاتيكان ، مما يشير الى عودة المياه الى مجاريها.

هذا اللقاء الذى اتسم بالمودة الشديدة ، والذى باركته أيضا جميع الطوائف المسيحية على اختلاف توجهاتها ، وكانت رسالة الأزهر التى وصلت إلى العالم بأثره ، أن الإسلام دين سماحة ، الإسلام برىء من العنف والإرهاب ، وجاءت الزيارة أيضا ، من أجل بحث أوجه التعاون بين مصر وإيطاليا ، والتى تربطنا بها علاقات سياسية واقتصادية

قال فضيلة الإمام الأكبر : أن الأزهر دائما على استعداد لتقديم يد المساعدة لكل مامن شأنه خدمة الإنسانية ، وليس المسلمين فقط ، فرسالته إلى العالم تهدف إلى تحقيق الإستقرار للبشرية جمعاء .

تلك الزيارة التى تعمل على نشر روح التسامح ، ونبذ الكراهية والعنف ، والتوافق على إطلاق الحوار وتعزيز التفاهم بين الأديان . كما تمت مناقشة مشاكل المسيحيين ، وكيفية حمايتهم فى أماكن الصراعات والتوترات فى الشرق الأوسط . أما (ملاك سلام) فكان عبارة عن ميدالية رائعة ، قدمها البابا فرنسيس هدية لفضيلة إمام السلام ، لقد أتت الزيارة ثمارها ، وما كان لها أن تتأخر أكثر من ذلك، لأن الشعوب باتت أحوج من أى وقت مضى إلى التقارب والتكاتف مع الجميع ، متعطشة للسلام والمحبة

فالعالم والإنسانية كلها أصبحت فى شغف إلى مواقف مشتركة ، من أجل وقف نزيف الدم ، وبتر أيدى الجماعات الإرهابية ، التى باتت مصدر خطر وتهديد شديدين ، فلم تعد هناك دولة بمنأى عن الإرهاب .

قال الإمام الطيب :

إن الأديان السماوية لم تنزل إلا لإسعاد الناس ، لا شقوتهم ، مؤكدا أن الأزهر يعمل بكافة هيئاته على نشر وسطية الإسلام ، بل يبذل جهودا حثيثة من خلال علمائه المنتشرين فى كل العالم ، من أجل إشاعة السلام والحوار ، ومواجهة الفكر المتطرف

كما أن لدى الأزهر مجلس حكماء المسلمين ، وأيضا قوافل سلام تجوب العالم ، كان الإتفاق بين شيخ الأزهر وبابا الفاتيكان فى هذه القمة التاريخية على مواجهة الأصولية المتعصبة .

أما البابا فرنسيس فمعروف عنه أنه رجل تسامح ومصالحة ، حريص على مد الجسور ، ويسعده دائما أن يأخذ زمام المبادرة من أجل السلام

ويذكر فى هذا الشأن أنه عشية إنتخاب قداسته بابا للفاتيكان كان شهر رمضان المبارك يحل على العالم الإسلامى ، فوجد أنها فرصة ذهبية لتهنئة المسلمين ، بل وأظهر ماللصوم من فضائل فى كل الأزمان ، ولدى كل الأديان

وعندما اشتعلت أزمة مجلة «شارلى إبدو» الفرنسية والتى أساءت للمسلمين ، ندد واستنكر قداسته بشدة أن يتعرض أصحاب الأديان ، لامتهان الكرامة على هذا النحو وفى اليونان مضى الى جزر المهاجرين المسلمين ، ليصطحب منهم أفرادا إلى الحاضرة الكاثوليكية ، كما طلب من مختلف الأبرشيات والكنائس ، والرهبانية الكاثوليكية فى كافة المدن الأوروبية بفتح أبوابها لاستضافة أسر اللاجئين .

ومن أجل ذلك كله وجدت شخصيته قبولا لدى الشعوب الأوروبية ، وتم تكريمه بالجائزة الشهيرة للملك (شارلمان) رغم ماتعانيه هذه القارة من مشاعر الإسلاموفوبيا البغيضة

البابا فرنسيس يتبع تعاليم المسيحية ، لكنه يحترم أيضا ويقدر كافة المؤمنين من الديانات الأخرى ، ويأتى الإمام الطيب وهو شيخ الجامع الأزهر قبلة الإسلام السنى ، مؤسسة الأزهر العريقة هى مركز الإشعاع فى العالمين العربى والإسلامى ، يأتى من أجل التأكيد على نقاط التوافق وتعظيمها وهى كثيرة أولها نشر ثقافة السلام ، وهو بذلك يفتح صفحة جديدة مع أوروبا والغرب ، ويقف حائط صد أمام تيارات العنف التى تختبىء خلف رايات الإسلام السياسى .

الإمام الطيب والبابا فرنسيس باتا يشكلان معا جبهة مقاومة صلبة ، ضد من يستحل دماء الأبرياء ، فدورهما الإيجابى من أجل تحقيق الإندماج والتعايش السلمى بين أتباع الديانات والثقافات المختلفة ، لا يختلف عليه أحد . ويرفضان العلمانية الطاردة لروح الأديان ، مما جعل لقاؤهما من أجل إرساء قواعد جديدة ، يمكن البناء عليها ، فى ظل أجواء من الثقة المتبادلة والمتزايدة . ويقطع الطريق على دعاة حروب الأصوليات المتطرفة ، ونذكر هنا مدى حرص الإمام الطيب على زيارة مسرح «الباتاكلان» ووضع باقات الزهور ، تكريما لأرواح ضحايا الاعتداءات الغاشمة والتى ضربت باريس وتحديدا فى نوفمبر ٢٠١٥عام.

ووصف الإعتداءات بالشائنة ، ودعا فضيلة الإمام العالم الى التوحد فى مواجهة الإرهاب الذى يقضى على الأخضر واليابس . وكانت أجمل صورة نقلها الإعلام الغربى عن الإسلام والمسلمين

فى رحاب كلمة فضيلته الرائعة عندما يقول :

(أتيت لأعلن أمامكم وباسم الإسلام ، أن دم البشر يجب أن يحفظ من الإبادات والتضحيات ، فالعلاقة التى أسسها الله بين البشر مبنية على السلام ، والأخوة والتعاون ، فيما ليس للإرهاب بلد أو دين ، مع جميع المسلمين تألمت لرؤية إراقة الدماء هنا ، وفى كل مكان آخر بسبب الشر ، لذا علينا جميعا فى الشرق والغرب أن نتضامن لمواجهته)

وهاهو الحبر الأعظم يأتى لأرض الكنانة ليرد الزيارة مرحبا به فى مصر .

وفى مركز المؤتمرات فى الأزهر الشريف ، ألقى قداسته خطابه الذى وجد استحسانا وقبولا من المصريين جميعا قال : أننا مدعوون دائما من أجل الحوار الدينى ، بين المجلس الحبرى للحوار بين الأديان ، ولجنة الأزهر ، يجمعنا صدق النوايا ، وشجاعة الإختلاف . وأكد قداسته أن التربية على أساس الإنفتاح على الآخر ، تأتى بالحوار الصادق ، وبالإحترام ، والإعتراف بحقوق الآخرين ، وبالحريات الأساسية ، خاصة الحريات الدينية والتى تشكل جميعها الطريق الأفضل لبناء المستقبل معا ، لنكون بناة الحضارة ، لأن البديل هو ثقافة الصدام.

فالله لن يكف عن محبة الإنسان أبدا، لذلك فهو يحثه على مواجهة العنف ، لأن هذا العنف باسم الدين ضد كرامة الإنسان ، الله خالق السماوات والأرض ، ليس بحاجه إلى حماية من البشر بل على العكس فإن الله هو الذى يحمى البشر

والله لا يرغب أن يموت أبناؤه ، بل يرغب فى حياتهم وإسعادهم، الإله الحقيقى يدعو للمحبة غير المشروطة ، يدعو إلى المغفرة والتسامح ومن أجل هذا علينا أيضا ، أن نتفادى الصراعات باستئصال الفقر ، حيث يستغل المتطرفون حاجة الفقراء للمال ، وعلينا أيضا أن نعمل على وقف تصنيع وتسويق الأسلحة التى تدمر الإنسان

ولا يفوتنا فى هذا المقام ، أن نشيد برفض قداسة البابا فرنسيس الربط بين الإسلام والإرهاب ، عندما قال : أنه فى جميع الأديان ، يوجد متشددون ، حتى بين الكاثوليك ، فإذا تحدثت عن أعمال عنف إسلامية ، يتعين علىّ أيضا أن أتحدث عن أعمال عنف مسيحية، يرى قداسته أن الدين ليس الدافع الحقيقى للعنف ، فالقتل يمكن أن يكون بكلمة ، والإرهاب يغذيه المال ، ويغذيه البطالة، وغياب المثل الأعلى للشباب ، مما جعلهم يتوجهون للإدمان والإنسياق خلف الجماعات المتطرفة . لكن الحبر الأعظم وجه لكل الشباب فى العالم الدعوة لنبذ العنف الدعوة لرفض الكراهية بين الشعوب ، والتخلى عن الأنانية ، خاصة فيما يتعلق بأزمة اللاجئين

« طوبى لكم إذا عيروكم وطردوكم ، وقالوا عليكم كل كلمة شريرة ، من أجلى ، كاذبين»

فى الأزهر دعوة للسلام

أما إمام السلام ، فضيلة شيخ الأزهر الدكتور أحمد الطيب ، فقد دعا فى البداية المشاركين بمؤتمر السلام ، أن يقفوا دقيقة حدادا على أرواح ضحايا الإرهاب فى مصر والعالم ، فى لفتة إنسانية رائعة

إن دلت هذه الوقفة فإنما تدل على سماحة فضيلته ونبل أخلاقه ، فهو لايفرق بين أديان الضحايا الأبرياء فى كل العالم

كان لقاءً عزّ مطلبه ، كليلة العيد فتح مغاليق من الدر ، فهاهو الأزهر الطيب يستضيف بابا السلام ، فهنيئا لك يامصر السلام ، هنيئا للتاريخ يسطر بالنور الآن ، اليوم تمتد الأيادى بالحب ، فتسلم الأيادى التى لمست القلوب بصدق المشاعر

هاهو عالمنا الجليل والذى وصفت فضيلته فى كتابى (جزيرة السلام) بأنه إمام المصريين ، وليس

فقط إماما المسلمين ، هاهو ينطق بالحق ، فأتت كلماته بلسما يشفى النفوس مع العقول ، ولم لا أصفه وهذا الوصف السابق (إمام المصريين) كما وصف قداسة البابا شنوده الرجل الوطنى ببابا العرب ألم يُطلق على قداسة البابا «شنوده الثالث» الرجل الوطنى بابا العرب ؟

هاهو الدكتور أحمد الطيب يجدد الآمال فى السلام ، فبعد الشكر الجزيل للحبر الأعظم على تلبية نداء الأزهر والمشاركة في المؤتمر العالمى للسلام قال فضيلته : إن هذا السلام الضائع الذى تبحث عنه شعوب مازالت تهيم على وجوهها فى الصحراء شعوب تهرب من أوطانها إلى أوطان أخرى بديلة ، لكن ليس هناك مايعوض الوطن الأم ، معرضين حياتهم وحياة أولادهم لخطر الموت

فكم رأينا العديد من المآسى التى لم يشهدها التاريخ من قبل ولا يزال العقلاء وأصحاب الضمائر اليقظة ، يبحثون عن سبب مقنع وراء هذه المآسى ، التى كتب علينا أن ندفع ثمنها الفادح من أرواحنا ودمائنا . فلا يظفرون بسبب واحد يبرر هذه الكوارث التى دفع ثمنها الأرامل والمسنون ، اللهم إلا سببا يبدو معقولا ، وهو تجارة السلاح وتسويقه ، وضمان تشغيل مصانع الموت ، هذا الثراء الفاحش هو نتاج صفقات مريبة ، تسبقها قرارات دولية طائشة ، ومما يثير الإحباط أن تحدث هذه الأزمة فى القرن الواحد والعشرين ، قرن التحضر والرقى ، وحقوق الإنسان ، والتقدم العلمى والتقنى الهائل، وعصر مؤسسات السلام ومجالس الأمن ، وتجريم استخدام القوة والتهديد فى العلاقات الدولية

بل عصر المذاهب الاجتماعية ، والفلسفات الإنسانية ، والتبشير بالمساواة المطلقة ، مجتمع الطبقة الواحدة ، والحداثة اللادينية ، وما بعد الحداثة ، الى آخر هذه المنجزات الاجتماعية والفلسفية التى تميز بها عصرنا الحديث

والسؤال المحورى فى هذه المفارقة كيف أصبح السلام العالمى مع كل هذه الإنجازات هو الفردوس المفقود ؟

كيف شهد عصر حقوق الإنسان من الأعمال الهمجية مالم يشهده عصر من قبل ؟

والإجابة هى تجاهل الحضارة الحديثة للأديان السماوية ، وقيمها التى لا تتبدل بتبدل المصالح والأغراض وأولها قيمة التراحم بين الناس ، وتذكيرهم الدائم بأن الخلق كله عيال الله ، وذلك حتى لا نتحول الى غابة من الوحوش الضارية ، يعيش بعضها على أكل لحوم بعض .

والحل كما يؤكد عقلاء المفكرين فى الغرب والشرق ، فى إعادة الوعى برسالات السماء ، واخضاع الخطاب الحداثى المنحرف لقراءة نقدية ، تنتشل العقل الإنسانى مما أصابه من فقر الفلسفة التجريبية وخوائها ، وجموح العقل الفردى المستبد وهيمنته على حياة الأفراد ، وألا يكون طور مابعد الحداثة قاصرا على مجرد تجميل هذه المذاهب وترقيعها بفلسفات الخيال والوجدان

ويرى الفلاسفة والمؤمنون أنه لا مفر من إعادة صياغة كل ذلك فى سياق المؤاخاه والتراحم أولا، وهذا السياق هو بمثابة ترياق ، يضخ الحياة فى المذاهب الفلسفية والقوالب العلمية والعملية الجامعة ، وأن هذا الترياق لايوجد إلا فى صيدلية الدين وحده

وفى اعتقادى أن الأرض الآن باتت ممهدة لأن تأخذ الأديان دورها في إبراز قيمة السلام ،وقيمة العدل والمساواة ، واحترام الإنسان أيا كان دينه ولونه وعرقه ولغته

وفى القران الكريم يقول الله تعالى فى سورة الإسراء :

(ياأيها الناس ، إنا خلقناكم من ذكر وأنثى ، وجعلناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا)

لكن قبل ذلك يلزمنا العمل على تنقية صورة الأديان مما علق بها من مفاهيم مغلوطة ،وتطبيقات مغشوشة ، وتدين كاذب ، يؤجج الصراع ، ويبث الكراهية ، ويبعث على العنف وألا نحاكم الأديان بجرائم قلة عابثة من المؤمنين بهذا الدين أو ذاك.

فليس الإسلام دين إرهاب ، بسبب أن طائفة من المؤمنين به سارعوا لاختطاف بعض نصوصه وأولوها تأويلا فاسدا ، ثم راحوا يسفكون بها الدماء ، ويقتلون الأبرياء ، ويروعون الآمنين ، ويعيثون فى الأرض فسادا ، ويجدون من يمدهم بالمال والسلاح

وليست المسيحية دين إرهاب ، بسبب طائفة من المؤمنين بها ، حملوا الصليب وراحوا يحصدون الأرواح ،لا يفرقون بين رجل وامرأة وطفل ، ومقاتل وأسير وليست اليهودية دين إرهاب ، بسبب توظيف تعاليم موسى عليه السلام ، وحاشاه فى احتلال أراض، راح ضحيته الملايين من أصحاب الحقوق من شعب فلسطين المغلوب على أمره

بل ليست الحضارة الأوروبية حضارة إرهاب ، بسبب حربين عالميتين ، اندلعتا فى قلب أوروبا وراح ضحيتهما أكثر من سبعين مليون قتيل ، ولا الحضارة الأمريكية حضارة إرهاب بسبب مااقترفته من تدمير البشر والحجر ، فى هيروشيما ونجازاكى

هذه كلها انحرافات عن نهج الأديان ، وعن منطق الحضارات ، وهذا الباب من الإتهام لو فتح كما هو مفتوح على الاسلام الآن ، فلن يسلم دين ولا نظام ولا حضارة ، بل ولا تاريخ من تهمة العنف والإرهاب

وإنا لنقدر لحضرة البابا تصريحاتكم المنصفة التى تدفع عن الإسلام والمسلمين تهمة العنف والإرهاب، وقد لمسنا فيكم وفى هذه الكوكبة من آباء الكنائس الغربية والشرقية ، حرصا على احترام العقائد والأديان ورموزها والوقوف معا فى وجه من يسىء إليها ، ومن يوظفها فى إشعال الصراع بين المؤمنين.

هذا ولا يزال الأزهر يسعى من أجل التعاون فى مجال الدعوة ، الى ترسيخ فلسفة العيش المشترك وإحياء منهج الحوار واحترام عقائد الآخرين ، والعمل معا فى مجال المتفق عليه بين المؤمنين وهو كثير

فلنسع معا من أجل المستضعفين والجائعين والخائفين والأسرى والمعذبين فى الأرض ، دون فرز ولا تصنيف ولا تمييز ، ولنعمل معا على إنقاذ كيان الأسرة ، مما يتربص به من انفلات الأخلاق وانحرافات البحث العلمى ، وإنقاذ البيئة من الفساد والمفسدين

فلنقف معا فى وجه سياسات الهيمنة ، ونظريات صراع الحضارات ، ونهاية التاريخ ، ودعوات الإلحاد وما ينشأ عن كل ذلك من مآسى وكوارث فى كل مكان

وفى الختام أتوجه الي الله الرحمن الرحيم أن يبارك هذا اللقاء وأن يجعل منه خطوة حقيقية نتعاون فيها جميعا على نشر ثقافة السلام والتآخى ، والعيش المشترك بين الناس

« يا أولادى ، لا نحب بالكلام ، ولا باللسان ، بل بالعمل ، والحق » (إنجيل يوحنا).

مصر فوق الجميع

بنـى وطنـى وأنـتم خيـر قـوم وأعـرق أمـة فـى العالمينـا
أفيقـوا مـن سـباتكم وهبـوا ولا تثقـوا بـنهج المجرمينـا
يريـد عـدوكم فتنـا وحقـدا وتفريقـا وتمزيقـا لعينـا
ويغـرس فـى عقـولكم جحـودا ويمحـو مـن قلـوبكم اليقينـا
لكـى يتمـزق الـوطن المفـدى إلـى شيـع تـرى التمزيـق دينـا
يكفـر بعضـنا بعضـا ونمحـو أواصـر وحـدة صمـدت قرونـا
ونمـلأ أرضـنا رعبـا وخوفـا ونقتـل أهلنـا متعمـدينا
ألسـنا أول الأمـم اعتقـادا بـأن الله خيـر الحاكمينـا
وقـد حكـم الإلـه بـأن سـتبقى ديانـات لـه متجاورينـا
فكيـف نطيـع توجيـه الأعـادى ونمشـى للهـلاك مكبلينـا
لينطـق بعضـنا جهـلا وزورا فنغـرق فـى حـديث الجاهلينـا
يقسـمنا طوائـف تعتـريهم صنـوف الحقـد والبغض اللعينـا

فيشــعل جهلهــم نــارا تلظــى   ويغـرق إفكهـم وطنـا أمينـا
أمــا علمــوا بــأن الــدين نــور   يشـع علـى عقـول المؤمنينـا
وأن لمصـر فـى الأعنـاق حقـا   يفـوق عقـوق كـل الطامعينـا
لكـــلٍ دينــــه لكـــنّ مصـــرا   تظـل لكـل مصـرىّ عرينـا

السلام هبة الله

وتلك هى الكلمات الحكيمة ، التى أعادت الروح إلى الجسد ، كلمات تعزز مكانة مصر بين الأمم ، قال الحبر الأعظم :

إذا وحد الجميع إرادتهم على قلب رجل واحد، وتحولت الكلمات إلى أفعال والتزام ، والقوانين المكتوبة إلى قوانين مطبقة ، مستغلين فى ذلك عبقرية المصريين.

على مصر تعزيز السلام فى المنطقة ، رغم ماتعانيه من إرهاب لقد فقد العديد من خيرة شباب مصر من أبناء القوات المسلحة والمواطنين الأقباط ، أما عمليات التهديد والقتل فقد أدت إلى تهجير المسيحيين في العريش ، والحل في التنمية والإزدهار والسلام ، الذى يستحق كل التضحيات ، وقبل أى شىء احترام حقوق الإنسان ، وأولها

حرية الدين والتعبير ، دون أدنى تمييز ، والمشهد العالمي الآن في غاية التعقيد ، لكن علينا أن نتبرأ من أى أيديولوجية للشر ، حتى نتمكن من بناء الحضارة ، علينا أن نتبرأ من العنف ، ومن كل تفسير متطرف ، يدعو إلى إقصاء الآخر ، وإبادة التنوع ، عن طريق التلاعب باسم الله القدوس ، والإساءة اليه ، فلنعلم الأجيال القادمة ، إن الإله الحقيقى يدعو للإخوة مابين أبنائه ، مؤمنين كانوا أو غير مؤمنين

فالتاريخ لا يغفر للذين ينادون بالعدالة ، ويمارسون الظلم ، ولن يغفر لهؤلاء المتحدثين عن المساواة ويقصون المختلفين

علينا أن نفضح بائعي أوهام الآخرة ، الذين يعظون بالكراهية ، لكي يسرقوا من البسطاء حياتهم ، وحقهم فى العيش بكرامة ، ويحولونهم الى وقود حرب .

التاريخ يكرم دائما دعاة وبناة السلام ، الذين يناضلون بشجاعة ، من أجل عالم أفضل

« طوبى لصانعى السلام ، لأنهم أبناء الله يدعون » (إنجيل متى)

مصر التى أنقذت الشعوب من المجاعة فى زمن يوسف ، هاهى مدعوة الآن لإنقاذ المنطقة من مجاعة المحبة والإخوة ، مدعوة لإدانة الهزيمة العنف ، مدعوة لتقديم سنابل السلام ، للقلوب التى تتوق إلى التعايش السلمى ، ومصر الآن يد تبنى ويد تحارب الإرهاب ، مصر دولة كبيرة مدعوة لإثبات أن (الدين لله والوطن للجميع).

فمهد الديانات الثلاثة ، يجب عليها النهوض من ليل المحنة الطويل ، لتنشر قيم العدالة

السلام هبة من الله ، لكنه ثمرة لجهد الإنسان ، السلام خير للبشرية جمعاء، ننشده بصفة خاصة لفلسطين وإسرائيل ، سوريا وليبيا والعراق وجنوب السودان ، ولكل من حمل فى قلبه الإرادة الطيبة

من أرض مصر أجدد التحية للمسيحيين الذين يعيشون فى هذه البلد : الأقباط الأرثوذكس ، اليونانيين البيزنطيين ، الأرمن الأرثوذكس ، والبروتستانت ، والكاثوليك ، فأنتم جزء لا يتجزأ من تاريخ مصر ، طورتم عبر القرون نمطا من العلاقات الإستثنائية ، علاقة تكافل فريدة من نوعها ، أثبتم ومازلتم تثبتون أنه يمكن أن نعيش معا فى إطار من الإحترام المتبادل

وختم الحبر الأعظم كلمته البديعة قائلا : « أشكر أخى الأكبر، الدكتور أحمد الطيب».

فإمام السلام ليس عالما جليلا فحسب ، بل هو الفكر المستنير والوطنى المخلص .

مد يد الإخاء والوئام لبابا السلام ، من أجل الإنسانية جمعاء

ونحن بدورنا ياسيدنا ، نثمن خطواتك من أجل السلام ، من أجل التواصل الكريم ، وفتح صفحة جديدة من عمر المحبة بين المؤمنين ، ومن قلوبنا ندعو للبابا فرنسيس بأن يباركه الله الحنون إله الكل ، وأن يظل أيقونة السلام ورمز المحبة إلى أبد الآبدين آمين

« إفرحوا وتهللوا ، لأن أجركم عظيم فى السماوات » (إنجيل متى).

الشاعرة فى سطور

- مريم توفيق
- عضو اتحاد الكتاب
- عضو جمعية الأدباء
- عضو نادى القصة
- عضو المنتدى الثقافى المصرى
- عضو جمعية الكاتبات
- عضو أتيليه القاهرة
- عضو رابطة التربية الحديثة

صدر لها :

- عزف على أوتار العشق	شعر فصحى
- أزهار الخريف	شعر فصحى
- قوس قزح	حوارت صحفية
- حلم بالخضرة	شعر عامية
- الثورة والزمن المسروق	نصوص أدبية
- مصر إلى أين	نصوص أدبية
- وبكت الأشجار	مجموعة قصصية
- اتولدنا	شعر عامية

- قنديل وقربان نصوص أدبية
- طريق السماء نصوص أدبية
- بين الكلمات نصوص أدبية
- عشق مختلف جدا نصوص أدبية
- كلمات فى جزيرة السلام نصوص أدبية

الفهرس